الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة - بوسعادة

المجاهد الفريق أحمد قايد صالح

قسم اللغة العربية

Ecole Normale Supérieure

Bou-Saada

Dép. L A



محاضرات في الأدب

المقياس: الأدب

المستوى: السنة الأولى ابتدائي.

الأستاذ: الدراجي عباسي

الرتبة: أستاذ محاضر ب بالمدرسة العليا للأساتذة ببوسعادة

السنة الجامعية : 2025/2024






بسم الله الرحمن الرحيم

مفردات المادة

المحاضرة الأولى: تقسيمات الأدب

المحاضرة الثانية: البيئة الجغرافية للعرب

المحاضرة الثالثة: أولية الشعر العربي الجاهلي وروايته

المحاضرة الرابعة: مصادر الشعر الجاهلي

المحاضرة السادسة: المعلقات

المحاضرة السابعة: شعر الصعاليك

المحاضرة الثامنة: النص النثري في صدر الإسلام

المحاضرة التاسعة: الأدب الأموي

المحاضرة العاشرة: مدرسة الغزل في العصر الأموي

المحاضرة الحادية عشر: شعر النقائض في العصر الأموي

مقدمة

إن المتأمل لمسار الأدب يجد بأنه صياغة فنية لتجربة انسانية، والمتلهف لتقصي تاريخ الأدب العربي القديم تتضح له تلك القفزة النوعية التي تخطت المبتذل واليومي. فلا خلاف بين النقاد والباحثين، قديماً وحديثًا، على ازدهار فنون الأدب العربي القديم، وتدل الشواهد والأدلة والبراهين على إن ظروف الحياة الجاهلية بما فيها من قساوة وخشونة من جهة، ونزاعات قبلية من جهة أخرى فرضت على رجالها التحلّي بصفات معينة تتناسب مع تلك الظروف ليتسنّى لهم التكيّف معها، على أن عصر صدر الإسلام قد شهد تطورًا ملحوظًا وتغيرا كبيرا بسبب تأثير الإسلام وتعاليمه. تأثر الشعر والنثر بقيم الدين الجديد، وتغيرت الأغراض الأدبية لتناسب روح المرحلة الجديدة لكل من الخطابة، والوصايا، والرسائل، والمفاخرات والمنافرات والقصص، والأمثال، والحكم، وغيرها.. أما العصر الأموي فقد شهد تطورا كبيرا وتأثرا بالأحداث السياسية والاجتماعية التي ميزت تلك الفترة.

ولأن الأدب مصطلح واسع وفضفاض فقد تطرقنا إليه في المحاضرة الأولى متتبعين أصل الكلمة عبر العصور وما أفادته في كل عصر. وبعد معرفتنا لمصطلح الأدب وتقسيماته والتعرف على أهم الفنون والأجناس، جاءت المحاضرة الثانية لتبين البيئة الجغرافية للعرب ومكان تواجد هذا الأدب ونشأته، حتى وصلنا بذلك للمحاضرة الثالثة وجاء فيها أولية الشعر العربي الجاهلي وروايته، كما تم في المحاضرة الرابعة التطرق إلى مصادر الشعر الجاهلي متتبعين في ذلك كل المصادر التي استلهم منها الأدب الجاهلي معانيه ومفرداته ومقوماته وهويته. حتى وصلنا إلى المحاضرة السادسة وسميت بالمعلقات التي برع فيها الكثير من الشعراء في قولهم الشعر حتى أصبح هوية الشعر الجاهلي. وفي ختام هذا العصر تناولنا في المحاضرة السابعة شعر الصعاليك الذي كان بمثابة الخروج عن المركز واعادة تشكيل المركز الموازي لما قد كان. جاءت المحاضرة الثامنة كبداية لعصر صدر الاسلام كما تم التطرق إلى النص النثري في صدر الإسلام بمختلف فنونه كالخطابة والوصايا والرسائل الإخوانية في ذلك العصر. هذا وقد تم في المحاضرة التاسعة الجول إلى عصر جديد إلا وهو العصر الأموي وفيه كان الحديث عن الحالة السياسية

والتحولات التي شهدها العصر الأموي، لنصل بذلك إلى المحاضرة العاشرة وفيها مدرسة الغزل التي قد ظهرت في العصر الأموي وتشكلت معالمها. وكانت المحاضرة الحادية عشر خاصة بشعر النقائض في العصر الأموي وفيها من الشرح والتحليل ما يساعد الطالب على الفهم.

جاءت هذه المحاضرات موجه لطلبة السنة الأولى ابتدائي من أجل تذليل الصعوبات في فهم نصوص الأدب العربي القديم فهما يسمح لهم بقراءتها، وتحليلها للكشف عن دلالاتها، نظرا لغزارة مادتها وصعوبة بعض مفرداتها.

وقد اعتمدت في هذه المحاضرات على مجموعة من المصادر والمراجع التي تخدم تفاصيل هذه المحاضرات وتساعد الطالب على الفهم وتساهم في الاثراء ومنها:

- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي.
- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي.
- الشايب أحمد، تاريخ النقائض في الشعر العربي.
- دزيريه سقال: العرب في العصر الجاهلي.
- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي– الأدب القديم.

كما يهدف المقياس إلى ما يأتي:

1- توضيح أبرز المصطلحات والمفاهيم المرتبطة بالعصر الجاهلي وصدر الاسلام والأموي. مع تقديم صورة واضحة عن الأدب.

2- إبراز أهمية الشعر وموقعه في الحياة العربية الجاهلية والوقوف عند قضاياه.

3-معرفة أهم مصادر الأدب الجاهلي وصدر الاسلام والأموي ومراجعه نماذج من الأدب وقراءتها وتحليلها.

4- الإلمام بأهم الفنون النثرية.

وفي الختام أسأل الله العزيز القدير أن يوفقني في إنجازي المتواضع هذا، وأحمده وأشكره بما أنعم عليّ من نعمة الصبر والمطاولة حتى تمكنتُ من إكماله، فأرجو أن أكون قد وفيته حقه .

المحاضرة الأولى

تعريف الأدب

الأدب عند العرب في الجاهلية: المتلهف لتقصي وتتبع كلمة أدب في العصر الجاهلي تتضح له بعدم وجد نصوص تشير فيه إلى أن كلمة (أدب) كانت تعنى ما تحمله في هذا العصر من معنى، بل إن هذه الكلمة كانت قد عرفت في معنى ضيق جداً، وهو الدعوة إلى مأدبة أو وليمة فالآدب هو الداعي إلى المآدب، وفي ذلك يقول الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر

والجفلى: هي الدعوة العامة، والآدب هو الداعي، وينتقر أي يتخير أو يختار، وبهذا يفتخر الشاعر بأنهم كانوا يقيمون المآدب في الشتاء، وعلى الرغم من استخدام الكلمة في الجانب الحسي. لكنها لا تتناقض مع تضمنها للأدلة أخلاقية تهذيبية، إذ من المعروف أن طبيعة إقامة الولائم، ودعوة الناس إليها كرماً وسخاء، أمراً يستدعي كثيراً من لين الأخلاق وحسن اللياقة والظُرف.

توسع معنى كلمة (أدب) في عصر صدر الإسلام: فاشتقوا منها الأدب بمعنى الأخلاق الكريمة والسجايا النبيلة لتأخذ بذلك الدلالة التعليمية لقول النبي ε: (أدبني ربي فأحسن تأديبي). وهو قول ينمّ عن دلالة تعليمية؛ لأنه يؤدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المكاره. فقد "انتقلت من معنى حسى وهو الدعوة إلى الطعام إلى معنى ذهنى وهو الدعوة إلى المحامد والمكارم. شأنها فى ذلك شأن بقية الكلمات المعنوية التي تستخدم أولا فى معنى حسى حقيقي، ثم تخرج منه إلى معنى ذهني مجازى"[1].

حين نصل إلى العصر الأموي نجد معنى كلمة (أدب): أنهم اشتقوا من كلمة (أدب)، كلمة (المؤدب) اشتملت على معنى تعليمي وتدور فى المعنى الخلقي التهذيبي، فالمؤدبون هم الذين يعلمون أبناء الخلفاء الأخلاق والثقافة والشعر والخطابة وأخبار العرب وأنسابهم وأيامهم في الجاهلية والإسلام يقول شوقي ضيف "فقد وجدت طائفة من المعلمين تسمى بالمؤدّبين، كانوا يعلمون أولاد الخلفاء ما تطمح إليه نفوس آبائهم فيهم من معرفة الثقافة

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ج 1، دار المعارف، مصر، ط 1، 1995، ص 08.

العربية، فكانوا يلقّنونهم الشعر والخطب وأخبار العرب وأنسابهم وأيامهم فى الجاهلية والإسلام. وأتاح هذا الاستخدام الجديد لكلمة الأدب أن تصبح مقابلة لكلمة العلم الذى كان يطلق حينئذ على الشريعة الإسلامية وما يتصل بها من دراسة الفقه والحديث النبوي وتفسير القرآن الكريم"[1]. وظل معنى (التثقيف) مفهوماً من كلمة التأديب في هذا العصر، حتى أطلق على طائفة من ممتازي الأساتذة اسم (المؤدبين)، وهم القائمون بأمور التعليم على النحو المعروف أيام بني أمية، وهو التعليم بطريق الرواية للشعر والأخبار وما يتصل بالعصر الجاهلي. وصارت كلمة (أدب) تدل منذ العصر الأموي على هذا النوع من الثقافة، واتاح هذا الاستخدام الجديد لكلمة(الأدب) أن تصبح مقابلة لكلمة (العلم) الذي كان يطلق حينئذٍ على الشريعة الإسلامية وما يتصل بها من دراسة الفقه والحديث النبوي وتفسير القرآن الكريم.

وإذا انتقلنا من عصر بنى أمية إلى العصر العباسي معنى كلمة (أدب): ولمّا قويت الحركة العلمية، وبلغت ذروة كمالها في العصر العباسي، ممثلة في تأليف الكتب، وتصنيف المعارف والنهوض بالترجمة، صار هذا العصر يُعرف بالنهضة في مختلف النواحي الثقافية، استقلت كلمة (أدب) وتفردت بالمعنى الذي ظلّ سائداً حتى الآن، فصارت تُطلق على الكلام الجيد من المنظوم والمنثور، وما يتناوله بالتفسير والشرح، والنقد والتعليق. "ولم تقف الكلمة عند هذا المعنى التعليمي الخاص بصناعتي النظم والنثر وما يتصل بهما من الملج والنوادر، فقد اتسعت أحيانا لتشمل كل المعارف غير الدينية التي ترقى بالإنسان من جانبيه الاجتماعي والثقافي"[2]. أخذت كلمة (أدب) في العصر الحديث تدل على معنيين معنى عام، يدل على كل ما يكتب في اللغة مهما يكن موضوعه ومهما يكن أسلوبه، سواء أكان علماً أم فلسفة أم أدباً خالصاً، فكل ما ينتجه العقل والشعور يسمى أدباً تشمل التجربة الشخصية والتاريخية والأسطورية والاجتماعية والخيالية. بمعنى إن الأدب صياغة فنية لتجربة بشرية إنسانية). معنى خاص: هو الأدب الخالص الذي لا

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ج 1، ص 08.

[2] المرجع نفسه، ص 09.

يراد به مجرد التعبير عن معنى من المعاني، بل يراد به أيضاً . أن يكون جميلاً بحيث يؤثر في عواطف القارئ والسامع على نحو ما هو معروف في صناعتي الشعر وفنون النثر الأدبية مثل: الخطابة، الأمثال، القصص، المسرحيات، المقامات. فهو بهذا إن الأدب نقد للحياة.

وبهذا العرض لدلالة الكلمة خلال العصور المختلفة يتضح أنها اتسعت وضاقت تبعًا لاختلاف العصور، فشملت كل أنواع المعرفة حينًا ووقف معناها عند الكلام الجيد من المنظوم والمنثور حينًا آخر.

ويمكن أن نُجمل خلاصة الفهم القديم لكلمة (أدب)، في النّقاط التالية:

1. المعنى الحسي.
2. التأديب وتهذيب الخلق.
3. التعليم.
4. المعارف والعلوم غير الدّينية، التي ترقى بالإنسان اجتماعيّا وثقافيّاً.
5. كلّ ما ينتجه العقل والشعور.

تقسيمات الأدب

خضع الأدب لتقسيمات عديدة وفقًا لمناهج دارسيه، فمنهم من قسّمه باعتبار العموم والخصوص إلى الأدب العام والأدب الخاص، والأدب العام يشمل كل ما كتبه العلماء والأدباء دون مراعاة الخط العازل ما بين اللغة الأدبية الفنية واللغة العلمية الرصينة. إنّ الحديث عن العصور الأدبية يعني الحديث عن فترات زمنية مُلئت بنتاجٍ أدبي شعرًا ونثرًا، وقد سُميت كلّ فترة زمنية منها وفقا لعوامل كثيرة، مثلا سُمّي العصر الجاهلي بهذا الاسم لجهل الناس ببعض الأمور، والعصر الأموي سُمي بذلك نسبةً إلى حُكم الأمويين لهذه الفترة الزمنية، وينطبق الأمر على العصور الأدبية الباقية تباعًا[1]. ثمَّ صار لفظ الأدب

[1] شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص 15. بتصرّف.

العام يُطلق على دراسة الحركات الأدبية التجديدية التي تتخطى المعايير القومية فصار يوضع في مقابل مصطلح الأدب المقارن والذي يدرس علاقات التأثر والتأثير ما بين الآداب القومية في لغاتها الأصلية. أمَّا الأدب الخاص فهو الأدب المتسم بالجمال الفني والعناصر البلاغية.

ظهرت فكرة تقسيم الأدب زمنيّا في العصر الحديث. مستمدة في أغلبها من الدراسات الغربية، فأكثر من أرخوا للأدب العربي وزعوا حديثهم فى هذا التاريخ على خمسة عصور أساسية فتمَّ تقسيم الأدب تقسيمًا تاريخيًا وفقًا للعصور السياسية التي عاصرها الأدب (الأدب الجاهلي، الإسلامي، الأموي، العبّاسي...). فقد قُسّم الأدب العربي تقسيما تاريخيّا مرتبطا بالدّولة أو الحقبة الزمنيّة التي يقصدها، ومن أمثلة ذلك تقسيم د. شوقي ضيف للأدب العربي في كتابه (العصر الجاهلي)، و د. أحمد حسن الزّيات في كتابه (تاريخ الأدب العربي)، حيث قسّموا الأدب إلى ستة عصور، وهي:

العصر الجاهلي: أو ما قبل الإسلام، وهو تلك الفترة الممتدة بمائة وخمسين عاماً أو بمائتين قبل الإسلام.

العصر الإسلامي: منذ بعثة المصطفىε إلى مقتل علي بن أبي طالب–آخر الخلفاء الرّاشدين سنة40هـ.

العصر الأموي: منذ قيام الدّولة الأموية 41هـ إلى سقوطها عام 132هـ/750 م.

العصر العبّاسي: ويقسّم المؤرخون العصر العبّاسي إلى قسمين، أولهما العصر العبّاسي الأول الذي يمتد بعد قيام الدّولة العباسية في عام 132هـ/750 م بمائة عام. والقسم الآخر يسميه المؤرخون: العصر العباسي الثاني، ويبدأ من عام 334هـ/945م إلى نهاية الدّولة عام 656هـ/1285م.

العصر العثماني والمملوكي: يحدد بسقوط بغداد على يد التتار باستيلائهم عليها إلى دخول نابليون وحملته الفرنسية عام 1213هـ/ 1798 م.

العصر الحديث: ويحدّد بدخول الحملة الفرنسية إلى مصر في عام 1213هـ/ 1798م إلى الوقت الحاضر.

المحاضرة الثانية:

البيئة الجغرافية للعرب:

الناظر في البيئة التي ترعرع فيها الأدب الجاهلي يجد أنها متنوعة في أحوالها وألوانها، فنجد أن الأدب الجاهلي موجود في ثلاث مناطق أولها: جزيرة العرب حيث تضم: نجد

والحجاز واليمن والصحاري كالنفود والدهناء والربع الخالي. وثانيها: العراق، وثالثها: الشام. وشبه الجزيرة في الحقيقة هو البقعة الممتدة بين البحر الأحمر غربا، والمحيط الهندي جنوبا، والعراق وبلاد الشام شمالا على مساحة نحو ثلاثة ملايين كيلومتر مربع[1]، والعصر الجاهلي بعيد في الزمان، يشمل أطوار شبه الجزيرة العربية القديمة قبل الميلاد وبعده، فشبه جزيرة العرب صحراوية في معظمها يسود أرضها الجفاف ولكن حين تحظى بمطر أو ينبوع يتحول بعض أجزائها روضات بهيجة تسر الناظرين ولاشك أن الإنسان هو ابن بيئته تطبعه بطابعها وتلون أخلاقه ومزاجه وعاداته بلون تضاريسها ومن هنا فقد طبعت الصحراء أخلاق العرب بطابعها فتحلوا بالشهامة والكرم والنجدة وكراهة الخسة والضيم وقد كانت كل هذه الصفات موضوعات خصبة أمدت الأدب العربي بمعظم أفكاره ومعانيه المعلقات كمظهر لاهتمامهم بالبلاغة والشعر.

أولا: الموقع الجغرافي

تتمتع شبه الجزيرة بموقع استراتيجي مهم، إذ كانت ملتقى طرق التجارة بين آسيا وإفريقيا وأوروبا، مما جعلها مركزًا تجاريًا رئيسيًا. ووصفت بشبه جزيرة لأن المياه تحيط بها من جميع اطرافها، وتقع شبه الجزيرة العربية في جنوب غرب آسيا، وتحدها:

- من الشمال: بلاد الشام والعراق.
- من الجنوب: بحر العرب والمحيط الهندي.
- من الشرق: الخليج العربي.
- من الغرب: البحر الأحمر.

ثانيًا: التضاريس الجغرافية:

تغطي الصحاري معظم شبه الجزيرة العربية، وأشهرها صحراء الربع الخالي وصحراء النفود." فكان لابّد لنا من أن نمهّد بين يدي بحثنا بتحديد معالم هذا الإطار، وخلصنا من

[1] حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي– الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، ط1، 1986م، ص63– 68 (بتصرف).

كل ذلك إلى أن موطن العرب، في جاهلّيتهم، كان متفاوتا في طبيعة أرضه، وفي طبيعة مناخه، وفي طبيعة سّكانه، أّما السّكان أنفسهم فكانوا طوائف ثلاثاً، أعرابا موغلين في الصحراء، يرتادون الكلأ، وينتجعون مواقع القطر، ويحيون حياة لا تكاد تعرف من أسباب الحضارة والمدنية شيئا، ثم سّكان الحواضر من أهل المدر الذين كانوا يحيون حياة مستقّرة ثابتة، في المدن والقرى، في داخل الجزير العربّية وأطرافها، في مّكة والمدينة والطّائف، والحيرة والأنبار وقرى اليمامة، ثّم طائفة ثالثة هم سّكان البادية الّذين ابتعدوا عن جوف الصحراء واستوطنوا مشارف المدن والقرى في ظواهرها وضواحيها، يحيون حياة فيها شيء من الاستقرار، وشيء من أخذ الأسباب بالحضارة والمدينة "[1] كانت الصحراء موطنًا للقبائل البدوية التي اعتمدت على الرعي والتنقل بحثًا عن الماء والكلأ. هذا وقد – ساعدت الجبال في تكوين بعض المناطق الخصبة التي اعتمد سكانها على الزراعة. – توجد في الغرب والجنوب، مثل جبال الحجاز وعسير واليمن.

تمتد على طول البحر الأحمر والخليج العربي وبحر العرب الكثير من المناطق الساحلية، ازدهرت فيها التجارة والصيد البحري، وكانت المدن الساحلية مثل مكة وجدة وصنعاء وعدن مراكز تجارية هامة. ومن مميزاتها أيضا هو أّنه" ليس في شبه الجزيرة نهر واحد بالمعنى المعروف للأنهار، وما فيها من جداول غير صالح للملاحة، فهي إّما قصيرة سريعة الجريان شديدة الانحدار، وآّما ضحلة تجف في بعض المواسم، غير أن العلماء يستنتجون من اتّجاه الأودية ومن وجود العاديات والخرائب، وآثار السكنى على أطرافها، والتّرّسبات الّتي تمثّل قيعان الأنهار، أن هذه الأودية كانت في الحقيقة أنهارا في يوم من الأّيام، وأن جوانبها كانت مأهولة بالسكان زاخرة بالحياة"[2]

وقد كان المناخ في شبه جزيرة العرب حار وجاف في معظم المناطق، حيث ترتفع درجات الحرارة صيفًا. نادر الأمطار، باستثناء بعض المناطق الجبلية التي تشهد أمطارًا موسمية.

ثالثا: تأثير البيئة الجغرافية على حياة العرب

[1] ناصر الّدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التّاريخّية، دار الجيل للنشر، بيروت، ط12، 1996، ص 617.

[2] أحمد إبراهيم الشريف، مّكة والمدينة، في الجاهلّية وعهد الّرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي، 1985،ص18.

تمّيز العرب بدقّة الّنظر والملاحظة حتّى لرّبما تجاوزوا في ذلك الصقور فلا غرو أن يكون أهدى من القطا؛ تلك هي الحقيقة عن العرب فإّنه فعلا" عُرف العرب بالملاحظة والمشاهدة وطول المرانة كثيرا من الأجرام السماوّية؛ والأحوال الجوّية، وحركات الكواكب، ومنزل القمر والأنواء، فهم يذكرون في شعرهم أسماء نجوم شتّى كالفرقدين والّدب ارن والثرّيا والعيوق؛ والسماء والشعرى، وقد سجل شعرهم هذا كلّه؛ وقد سّموا الأنجم الأربعة الّتي خلف الّنسر الواقع؛ أو صليبا الطّائر... وهم عرفوا منازل القمر بأن اتّخذوا في ال سماء ثماني وعشرين كوكبة (مجموعة) لا تبتعد عن فلك القمر كثيرا ، تدل كل منها على موضع القمر في إحدى ليالي الشهر، كذلك جاء في القرآن: ﴿والقمر قّدرناه منازل حتّى عاد كالعرجون القديم ﴾ سورة يس الآية: 39، وطبيعي أن تكون معرفتهم بالأنواء عظيمة؛ لأن حياتهم وأرزاقهم ذات صلة وثيقة بالمطر والمرعى؛ فهم يتطلّعون إلى السماء يتشّوفون مطرها، ويشّمون برقها، لذلك كانت لهم فراسة وخبرة بالسحاب الُممطر والجهام، وبالبرق المنجز والخلب، والرّياح وخواصها أدى المناخ الصحراوي إلى انتشار حياة البداوة، حيث تنقل العرب بين الواحات بحثًا عن الماء[1].

تظهر قيمة وقّمة الأعلام الجغرافية ليتبادر إلى ذهننا إن لفظة الجاهلية تعني الجهل، إلى إننا إذا نظرنا إلى حياة العرب ككل، أدركنا سريعا إن هذا اللفظ غير ما نريد ولا سيما أن العرب الجنوب كانت لهم حاضرة راقية كما ذكرنا، والمعنى الثاني لهذه اللفظة قد يأتي على سبيل الدلالة على الغباء أو قلة الذكاء، والعربي كان بطبعه ذكيا، بعيدا جدا عن الغباء. بيد إن هذه اللفظة وردة عندا الجاهلين، قال عمرو بن كلثوم:

أَلا لا يَعلَمُ الأَقوامُ أَنّا تَضَعضَعنا وَأَنّا قَد وَنينا

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا[2].

حياة العرب الاجتماعية:

[1] أحمد محّمد الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، دار الفكر العربي، ط 02، ص 525.

[2] ينظر: دزيريه سقال: العرب في العصر الجاهلي، دار الصداقة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص 68.

لم يكن العرب يعيشون فى الجاهلية معيشة واحدة فقد كانوا فريقيين وهم: حضر وكانوا قلة وبدو وهم الكثرة، فقد عرفت الحضر الزراعة فى الجنوب والشرق وواحات الحجاز مثل يثرب وخيبر والطائف ووادى القرى. وعاش أهل مكة في بيوت مبنية مستقرة ويعملون على التجارة، وسكان مكة هم قريش أحلافها وعبيدها وكانت قوافلهم آمنة محترمة لأن الناس يحتاجون إلى خدمات قريش أثناء موسم الحج ولهذا ازدهرت تجارة قريش وكانت لها رحلتان تجاريتان رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام. إذ كانوا يحملون عروضها وسلعها بين حوضي المحيط الهندي والبحر الأبيض فمكة فى الجاهلية كانت مدينة تجارية عظيمة، وكان بها الكعبة أكبر معابد العرب حينئذ، فكانوا يحجون إلى أصنامهم وأوثانهم فيها، وتقيم لهم قريش الأعياد والأسواق كسوق عكاظ، وكانت أكبر أسواقهم، وكانوا يقيمونها فى نجد. وكانت قوافلهم تجوب الصحراء شمالا وجنوبا فى طرق معلومة كما كانت تجوبها شرقا في طريقين معروفين: طريق إلى الخليج الفارسي من شرقي مكة وكان يمر بمدينة الرياض الحالية، وطريق ثان كانوا يذهبون فيه شمالا إلى خيبر، ثم يخترقون الصحراء في وادى الرّمّة، ويظن أنه كان مجرى نهر في عصور ما قبل التاريخ، ومنه يهبطون إلى الحيرة. وكان يصحبهم ففي هذه القوافل أدلاء يحمونهم الضلال في مجاهل الصحراء، ومن أشهرهم فرات بن حيان، كما كان يصحبهم خفراء يحمون قوافلهم من ذؤبان البادية وقراصنتها أو صعاليكها الذين تعودوا النهب والسلب، وقد يبلغون ثلاثمائة عدا، ومن أهم القبائل التي كانوا يخشون ذؤبانها قبيلتا هذيل وفهم وكانوا ينقلون من الجنوب: من اليمن وحوض المحيط الهندي وإفريقية الشرقية اللّبان والطيب والبخور والجلود وثياب عدن النفيسة وتوابل الهند ورقيق إفريقية والصمغ والعاج، كما كانوا ينقلون من الطائف الزبيب ومن مناجم بنى سليم الذهب. وأما أهل البادية فكانت حياتهم حياة ترحال وراء منابت العشب لأنهم يعيشون على ما تنتجه أنعامهم وكانوا يحتقرون الصناعة ويتعصبون للقبيلة ظالمة أو مظلومة[1].

[1] ينظر: شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ج 1، ص 67.

كانت المرأة شريكة مخلصة للرجل في حياته تساعده في حاضرته أو باديته وتتمتع باحترامه حتى لقد اشتهرت بعض النساء في الجاهلية بالرأي السديد. ويرى شوقي ضيف أن القبيلة في العصر الجاهلي كانت "تتألف من ثلاث طبقات: أبناؤها وهم الذين يربط بينهم الدم والنسب وهم عمادها وقوامها، والعبيد وهم رقيقها المجلوب من البلاد الأجنبية المجاورة وخاصة الحبشة، والموالي وهم عتقاؤها، ويدخل فيهم الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم ونفتهم عنها لكثرة جرائرهم وجناياتهم. وكانوا يعلنون هذا الخلع على رؤوس الأشهاد في أسواقهم ومجامعهم، وقد يستجير الخليع بقبيلة أخرى فتجيره، وبذلك يصبح له حق التوطن في القبيلة الجديدة، كما يصبح من واجبه الوفاء بجميع حقوقها مثله مثل أبنائها"[1].

الحياة الاجتماعية للعرب قبل الإسلام

كانت الحياة الاجتماعية في الجزيرة العربية قبل الإسلام قائمة على النظام القبلي، حيث كانت القبيلة تشكل الأساس في التنظيم الاجتماعي، والناس ينقسمون إلى فئات مختلفة حسب النسب والمكانة الاجتماعية. ولعل ما يمكن حصره في الحياة الاجتماعية للمجتمع الجاهلي في النقاط التالية:

1. **النظام القبلي:** كانت القبيلة هي الوحدة الأساسية للمجتمع، وكان شيخ القبيلة يتم اختياره بناءً على الشجاعة والحكمة والنسب. كما اعتمد العرب على التضامن القبلي في مواجهة المخاطر مثل الغزوات وحماية الموارد. نظرًا لظروف الحياة القاسية للقبلية وتأثيرها على النظام الاجتماعي، اعتمد العرب على القبيلة كنظام اجتماعي أساسي، حيث كانت القبيلة توفر الحماية والمساندة لأفرادها. إلا أن العصبية القبلية (الولاء للقبيلة دون غيرها) كانت منتشرة، وكانت سببًا في العديد من الحروب والصراعات. وهي من أبرز سمات المجتمع العربي، حيث كان الولاء للقبيلة مقدمًا على أي انتماء آخر.

2. **مكانة المرأة:** كانت المرأة تعاني من التمييز في بعض القبائل، حيث انتشرت عادة وأد البنات خوفًا من العار. رغم ذلك، كانت بعض النساء تتمتع بمكانة عالية مثل خديجة بنت

[1] المرجع نفسه، ص 67.

خويلد، التي كانت تاجرة ناجحة. والأمثلة كثيرة ومتنوعة فقد كانت هناك نساء بارزات في المجتمع، حيث شاركن في التجارة والشعر والغناء.

3. **الزواج والعائلة:** تعددت أشكال الزواج، حيث كان زواج التعدد منتشرًا بين الرجال.

كانت فيه العائلة تعتمد على الروابط القوية بين أفرادها، وكان الابن يحمل مسؤولية الدفاع عن أسرته وقبيلته. ولأن طبيعة المنطقة نشأت على نظام الموالي الذي كان سائدا، حيث كان بعض الأفراد يخضعون للحماية داخل القبائل رغم أنهم ليسوا من أبنائها الأصليين.

4. **المعتقدات والعادات:**

- الكرم والضيافة: نظرًا لظروف البيئة الصحراوية القاسية، أصبح إكرام الضيف جزءًا مهمًا من الثقافة العربية.
- الفروسية والشجاعة: بسبب طبيعة الحياة البدوية، كان العرب يعتزون بالشجاعة في الحروب والغزوات.
- الشعر والخطابة: نظرًا لغياب الكتابة المنتشرة، كان العرب يعتمدون على الشعر والخطابة كوسائل رئيسية لنقل الأخبار والتعبير عن المشاعر والفخر بالقبيلة.
- لعب عبادة الأصنام دورا هاما في حياة العرب قديما وانتشرت بشكل كبير، حيث كان لكل قبيلة صنم خاص بها. وكان العرب يقدسون الكعبة ويقيمون الحج وفق طقوس جاهلية. قبل الإسلام، حيث كان العرب يعبدون الأصنام، ومن أشهرها هُبَل واللات والعزى.
- تأثر بعض العرب بالديانات السماوية مثل اليهودية والمسيحية، خاصة في مناطق اليمن والحيرة وبلاد الشام.

- كانت الكعبة في مكة مركزًا دينيًا هامًا، حيث كانت مقصدًا للحج حتى قبل الإسلام.

5. **الفنون والثقافة:** ازدهرت الشعر وتربع على عرش الأدب، وتوسع أفق النظم وتعدد. إلا أن للخطابة كان لها نصيب منه، حيث كان للشعراء مكانة عظيمة وكانوا بمثابة

الناطقين باسم قبائلهم. ولأن التبادل التجاري كان مبنيا في السوق فهي مركز للاجتماعات الثقافية والشعرية ونجد ذلك في سوق عكاظ الذي يعد منارة للشعر والخطابة والنقد وغيرها. وهو من أشهر الأسواق التجارية والثقافية، حيث كان العرب يجتمعون فيه للتجارة وإلقاء الشعر والمفاخرات القبلية.

أثّرت البيئة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية بشكل كبير على حياة العرب قبل الإسلام، حيث حددت أنماط معيشتهم واقتصادهم وسلوكهم الاجتماعي، مما ساهم في تشكيل طبيعة المجتمع العربي وتقاليده قبل ظهور الإسلام.

العصر الجاهلي التسمية والتوسع:

يطلق مصطلح "العصر الجاهلي" على الفترة التي سبقت ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية. وسمي العصر الجاهلي على الفترة الممتدّة قبل بعثة سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، والّتي دامت قرن ونصف أو مئتان قبل البعثة. يعرف بالعصر الجاهلي لما شاع فيه من الجهل، بسبب جهل الناس بعقيدة إبراهيم عليه السّلام، فسُمّوا جاهليّين، "والجاهلية هنا لا تؤخذ بمعنى الجهل الذي هو نقيض العلم. بل تعني السفة والغضب والانفة، وهي الحال التي كانت عليها العرب قبل الاسلام لما كانوا عليه من مزيد الجهل في كثير من الاعمال والاحكام"[1] وقد سُمِّي بهذا الاسم بسبب انتشار الجهل في العقيدة والسلوك، وليس بسبب انعدام العلم أو الثقافة، فقد كان العرب آنذاك أصحاب لغة غنية وأدب راقٍ. وليس المقصود بالجهل الّذي هو ضد العلم بل الجهل الّذي ضدّ الحلم أي أن عرب الجاهلية كانوا على جهل بالشرائع الحقة والاحكام العادلة والمثل العليا التي جاء بها الاسلام، وعلى هذا الاساس يصح اطلاق لفظ الجاهلية هذا على العصر السابق لعصر النبي (ص) [2].

---

[1] ابن منظور :لسان العرب ، ط بولاق 1303 هـ ، ج13 ص136 ، الالوسي : بلوغ الارب ج1 ص 17.

[2] عبدالكريم زيدان: المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية – بغداد، 1969، ص 15.

هذا وقد عبد العرب في العصر الجاهلي الأوثان والأصنام، ومن أشهر أصنامهم في العصر الجاهلي: هبل- اللّات- العزّى- مناة، كما أنّ كثيراً من العرب من عبدوا الشّمس والقمر والنّجوم، وكان هناك فئة لم تعجبهم سخافات الوثنيّة وهدتهم فطرتهم، فعدلوا عن عبادة الأصنام وعبدوا الله على ملّة إبراهيم عليه السّلام، وكانوا يسمون الحنفاء. وقد جاء لفظ الجاهلية في القران الكريم في أكثر من موضع، يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكم أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قالُوا أَتَتَّخِذُنا هُزُوًا قالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجاهِلِينَ﴾ [سورة البقرة 68]، ويقول أيضا: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف:199]، وفي سورة الفرقان:﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [سورة الفرقان 63]، وقال تعالى:﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة 50]، وقوله عز وجل:﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[سورة آل عمران 154]، وقوله تعالى:﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة الفتح 26]. وقوله تعالى:﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب 33]. وقد اختلفت آراء المفسرين حول بالجاهلية الأولى فيرجعها الكثير منهم أنها الزمن الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام، حيث كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي في وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال، وقيل أنها الفترة ما بين آدم ونوح (ع) وهي ثمان مائة سنة ، ورأى فريق آخر أنها الفترة ما بين نوح وأدريس، ومنهم من جعلها ما بين نوح وإبراهيم (ع)، وأنها تعني الفترة ما

بين موسى وعيسى (ع)، في حين ذكر أخرون أنها لفترة ما بين عيسى ومحمد (ص) [1]. وجاء في الحديث النبوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذكر وقد تحير رجلا بأمه:(إنك امرؤ فيك جاهلية)، أي فيك روح الجاهلية، وقريب من هذا المعنى استعمالهم استجهله الشيء أي استخفه [2]. أي لا يسفهن أحد علينا فنسفه عليهم فوق سفههم، أي نجازيهم بسفههم جزاء يُرْبِي عليه، فسمِّيَ جزاء الجهل جهلًا لازدواج الكلام وحسن تجانس اللفظ، ويظهر مما تقدم ان كلمة الجاهلية يراد بها الحال التي كان عليها العرب قبل الإسلام استخدمت منذ القدم للدلالة على السفة والطيش والحمق، وقد اخذت تطلق على العصر القريب من الاسلام أو بعبارة أدق على العصر السابق له مباشرة وكل ما كان فيه من وثنية واخلاق قوامها الحمية والاخذ بالثأر واقتراف ما حرمه الدين من الموبقات[3]. وقد استحدثت هذه الكلمة بنزول القرآن وأطلقت على الزمن الذي كان قبل البعثة حتى فتح مكة وإرساء قواعد الدولة الجديدة.

التوسع الزمني والمكاني

1. التوسع الزمني

ليس هناك اتفاق دقيق على بداية العصر الجاهلي، لكنه يمتد لعدة قرون قبل الإسلام. بعض المؤرخين يعتبرون أنه بدأ قبل 150 إلى 200 سنة من بعثة النبي محمد ε، أي تقريبًا من القرن الخامس الميلادي حتى ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي (610م).

2. التوسع المكاني

شمل العصر الجاهلي مناطق واسعة، وكان يتركز في:

---

[1] الالوسي: بلوغ الارب في معرفة احوال العرب، مصر، 1342هـ، ج1، ص 17.

[2] أحمد أمين: فجر الاسلام ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1969، ط 11، ص 69 – 70.

[3] شوقي ضيف: العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، 1960، ط 4، ص 39.

شبه الجزيرة العربية: وهي المنطقة الأساسية للحياة الجاهلية، وخاصة في الحجاز ونجد واليمن.

العراق وبلاد الشام: حيث كانت بعض القبائل العربية تعيش تحت حكم الفرس والروم.

أطراف أفريقيا: حيث استقرت بعض القبائل العربية في مناطق مثل الحبشة.

3. سمات العصر الجاهلي: كان العصر الجاهلي يتميز بعدة خصائص:

النظام القبلي: حيث كانت القبيلة هي الأساس في المجتمع.

العصبية القبلية: وكانت سببًا في العديد من النزاعات والحروب.

الاقتصاد القائم على الرعي والتجارة: خاصة في مكة ويثرب.

كثرة الحروب والغزوات: مثل حرب داحس والغبراء وحرب البسوس.

الشعر والخطابة: حيث كان الشعر هو الوسيلة الرئيسية لنقل الثقافة والمفاخر القبلية.

الديانات المتعددة: حيث عبد العرب الأصنام والنجوم، وكان هناك وجود محدود لليهودية والمسيحية.

رغم أن العصر الجاهلي ارتبط ببعض السلوكيات السلبية مثل العصبية القبلية والجهل بالعقيدة الصحيحة، إلا أنه كان عصرًا غنيًا باللغة والأدب والشعر، مما ساهم في تطوير الفصاحة والبيان عند العرب، وهي الأمور التي استفاد منها الإسلام لاحقًا في نشر دعوته بلغة بليغة وقوية.

المحاضرة الثالثة

أولية الشعر العربي الجاهلي وروايته:

إن بداية ظهور الفن بعامة والشعر بخاصة عند الإنسان قضية موغلة في القدم، لا يمكن الجزم فيها بحكم، ولا سيما أن الأدلة المادية قليلة، أو منعدمة في بعض المواطن، كما أننا أمام حلقة مفقودة من حلقات تطور الشعر الجاهلي، فالبداية الحقيقة لقول الشعر مشوبة بالضبابية والأحكام غير المؤسسة على معايير علمية من شأنها أن تزيل الغموض الذي شاب البدايات الأولى للشعر العربي القديم. لذا، فليس من اليسير أن نحدد بداية العصر الجاهلي بصورة يقينية، أو أن نضع أيدينا على أولية الشعر العربي؛ فليس بين أيدينا وثائق تاريخية أو أدبية تحدد هذه البداية الغامضة.

لقد كان الشعر في العصر الجاهلي هو وسيلة الإعلام الوحيدة عند القبائل ينشر أمجادها، يشيد بأحسابها ويسجل للأجيال مفاخرها، وكان العرب يفرحون بثلاثة أشياء: غلام يُولد، وفرس ينتج، وشاعر ينبغ، وكانت القبيلة إذا نبغ منها شاعر تدق الطبول وتستقبل المهنئين والمهنئات ،وتمد الموائد، وكان معظم شعراء الجاهلية سادة في قبائلهم.

أولية الشعر العربي قبل الإسلام:

المقصود بالأولية البدايات الأولى التي تولد منها هذا الشعر وتنامى إلى عصرنا الحاضر بهذا النضج الفني الذي نراه متمثلاً في أشعار أوائل شعراء عصر ما قبل الإسلام

الذي وصل إلينا تام الأوزان والقوافي بالغة العربية الفصيحة والذين أثر لبعضهم دواوين محققة كأمرئ القيس وعبيد بن الأبصر وطرفة بن العبد وعنترة وزهير وغيرهم. إن هذه البداية غير واضحة لعدم دقة تحديد أول شعر قيل في العصر القديم وإن كان بعض النقاد القدامى كالجاحظ وغيره قد جعلوا لعصر ما قبل الإسلام حدوداً زمنية ومن هنا كانت هناك نظريات لهذه الأولية.

نظريات أولية:

أ- عند الأقدمين. تعرض علماؤنا الأوائل لهذه القضية ومن هؤلاء الأصمعي وابن سلام وابن قتيبة والجاحظ وابن رشيق وقد وضع هؤلاء العلماء نظريات لهذه الأولية وكانت لهم آراء قيمة في هذا الجانب.

بناء على ما قرره ابن سلام فأن الجاحظ يقرر نظرية عن عمر الشعر الجاهلي الذي يمكن الركون إلى أنه صدر عن العرب وبهذه اللغة التي أصبحت لغة العرب وبها نزل القرآن الكريم وتوحدت لهجات العرب كلهم في لهجة قريش التي نزل القرآن بها، وفي معنى ذلك يرد للجاحظ بأن الشعر حديث الميلاد صغير السن أول من نهج سبيله وسهل الطريق إلية: امرؤ القيس، ومهلهل بن ربيعة... فإذا استظهرنا الشعر، وجدنا له- إلى أن جاء الله بالإسلام – خمسين ومائة عام، وإذا أستظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام.

الأولية المعروفة:

ويسميها بعض النقاد الأولية الأخيرة أو الأولية الثانية أو الأولية الحديثة وكل هذه التسميات تصدق على شعر هذه الفترة الذي وصل إلينا وقد أطلق العلماء العرب السابقون على شعرائها لقب الأوائل أو القدامى وعلى شعرها القديم وتبدأ هذه الأولية بامرئ القيس والمهلهل وطرفة بن العبد وعبيد بن الأبصر وعمرو بن قميئة والمتلمس الضبعي والمرقش الأكبر والمرقش الأضغر فهم كلهم في عصر واحد وإن كان أمرؤ القي أشهرهم حيث يرى كثير من النقاد أنه أول من خطى بالشعر خطوات جريئة كانت من أسباب نضجه.

الأولية المجهولة:

وقد يطلق عليها الأولية الأولى أو الأولية الضائعة أو الأولية اللامنتهية لأنها قليلة المعلومات الصحيحة ولأنها ممتدة زمنياً في شعاب التاريخ فهي تعد غيبا من الغيوب والحديث عنها ضرب من الحدس والتخمين وقد حددها ابن قتيبة وابن سلام بالخطوة التي سبقت القصائد الطوال ومهدت لها بالمقطعات الشعرية القصيرة وجل أصحابها من المعمرين كدويد بن زيد القضاعي وأعصر بن سعد بن قيس عيلان والمستوغر بن ربيعة التميمي وجذيمة الأبرش وغيرهم.

الشعر الجاهلي والتفرد:

لقد حظي الشعر العربي باهتمام خاص في النقد العربي منذ القدم، وما زال يحتل موقعه الذي تبوأه. واقترنت نشأة الشعر –الموزون والكلام المقفى وهو ديوانها[1]–. منذ أقدم العصور برحلة العمل الجماعي، سواء أكان في رحلة للصيد، أم لجني الثمار، أو بتأدية عمل لا يمكن أن يؤديه فرد واحد. إن العمل الجماعي يوحد الأفراد ويقلل من تعبها ويقرب من تحقيق هدفها، وقد قاد هذا إلى التحام حركة الفرد بحركة زميله فكانت قوة إنجاز عملي، لذلك كانت أغنيات البدائيين نداءات، وكان إيقاعهم تنظيماً لحركات الأداء العملي. ونتيجة لبداوة العرب قبل الإسلام وكونهم أمةً أميَّة لا تكتبُ ولا تخط، كانت الشفاهيَّة هي المحرك الرئيسي لرواية معظم مآثر وأخبار الجاهلية، وكان خير ما تناقلته ألسنة الرواة وعوام القبائل وساداتها هو الشعر، وساعد على ثرائه أن المجتمع العربي في تلك الفترة كان مجتمعًا يدين بالحرية الفردية إلى أبعد حدٍّ، ورغم أنه كانت هناك طوائف تعلمت الكتابة في الجاهلية، وكان هناك نوع من الكتابة الضيقة التي لا تتعدى التقييد؛ إلا أنَّ الحفظ والإنشاد وتناقل الأبيات من الأفواه إلى الأفواه هو العامل الأبرز في وصول دواوين الشعراء الجاهليين إلينا بهذه النضارة والبداوة في التعبير، والابتكار اللغوي المميز في الوصف. وكانت اللغة تؤدي وظيفة توصيلية يراد منها إفهام المتلقي، وإيصال الدلالات المراد التعبير عنها، وكان التأكيد على القضايا النفعية يعني أنّ اللغة تشير إلى الدلالات

[1] الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان ، تحقيق: عبد السلام هارون، ج 1، ط 2 ، القاهرة . مصر، طبعة الحلبي، 1967 م، ص 71 و 72 .

الحسية، مطلقة الأسماء على الأشياء، ولم تكن اللغة في مراحل تطورها الأولى قادرة على تجاوز هذه المسميات إلى تكوين المفاهيم والرموز، ويتأتى هذا لأنَّ الإنسان قد ألفى الأشياء بالتدريج وأطلق عيها أسماء مأخوذة من الطبيعة، يحاكي فيها أصواتها بقدر ما يستطيع ... وكان ذلك ضرباً من الإيماء يتآزر فيه الجسم والحركات[1].

الشعر الجاهلي مستودع ووسيلة:

كان الشعر الجاهلي أفضل وسيلة لنقل معاناة الناس وألمهم وشكواهم. فقد كان وسيلة الإعلام الوحيدة عند القبائل ينشر أمجادها، يشيد بأحسابها ويسجل للأجيال مفاخرها، وكان العرب يفرحون بثلاثة أشياء: غلام يُولد، وفرس ينتج، وشاعر ينبغ "، وكانت القبيلة إذا نبغ منها شاعر تدق الطبول وتستقبل المهنئين والمهنئات، وتمد الموائد، وكان معظم شعراء الجاهلية سادة في قبائلهم. حيث قال "ابن قتيبة" – عن الشعر –: "إنَّ الله جعله لعلوم العرب مستودعًا، ولآدابها حافظًا، ولأنسابها مقيدًا، ولأخبارها ديوانًا لا يرَثُّ على الدهر ولا يبيدُ على مرِّ الزمان"[2]. ويقول الجاحظ في نفس السياق في كتابه "الحيوان: "فكلُّ أمة تعتمد في استبقاء مآثرها، وتحصين مناقبها، على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال. وكانت العرب في جاهلِيَّتها تحتال في تخليدها بأنَّ تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفَّى، وكان ذلك هو ديوانها".[3]. ويرى كل من أحمد الإسكندري ومصطفى عناني أن" الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة، وكتب أرسطاطاليس ومعلمه أفلاطون، ثم بطليموس وديمقراطس وفلان وفلان قبل بدء الشعر بالدهور قبل الدهور، والأحقاب قبل الأحقاب، ويدل على حداثة الشعر قول امرئ القيس بن حُجر:

إنَّ بني عوفٍ ابتنوا حسنًا ضيَّعه الدُّخْلُلُون إذ غدروا

أدَّوْا إلى جارهم خفارتَه ولم يضِعْ بالمغيب مَن نصروا

---

[1] ارنست فيشر، ضرورة الفن، ص 28.

[2] أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: تأويل مشكل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1973، ص 14.

[3] عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 2003، 71-72- 74.

لا حِميريٌّ وفى ولا عُدَس ولا استُ عَيرٍ يحكُّها الثفَرُ

لكن عُوَيرٌ وفى بذمتِه لا قِصَرٌ عابه ولا عَوَرُ

فانظر كم كان عمر زرارة، وكم كان بين موت زرارة ومولد النبي عليه الصلاة والسلام، فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام"[1]. الملاحظ للحقبة التي سبقت امرئ القيس، والمهلهل قد يقصد بها الجاحظ الفترة المجهولة، التي قيلت فيها المحاولات الأولى ووضعت فيها البذور لنشأة الشعر. ولعل في رأي الجاحظ ما يحيل إلى بعض الواقعية والمرونة في تحديد الفترة الزمنية، التي سبقت عصر الازدهار الشعري، وهي الفترة التي يطلق عليها الجاهلية الأولى. غير أن هذا التخريج غير كاف ولا يمكن الاعتداد به، إذ لا يصح منطقياً وعلمياً أن تحظى المحاولات الشعرية المتعثرة، وهي في بداياتها بنضج شعري يتبلور في تجربة رائدة وذات خصوصية فنية متميزة كتجربة امرئ القيس، ومن عناصره من الشعراء.

ويرجح ناصر الدين الأسد أيضا أن الشعر الجاهلي كان يقيد في صحف متفرقة لأغراض شتى، وأن تدوين الحديث والتفسير واللغة والأنساب والشعر قد بدأ منذ عهد مبكر جدًّا؛ وأنه ليس صحيحًا ما يذكر من أن التدوين لم يعرفه العرب إلا في آخر القرن الثاني ومطلع القرن الثالث الهجري!"[2] والشعر عند العرب مادة وفيرة ومجال واسع لظهور هذا الاحساس والمعرفة والتصوير لمظاهر الطبيعة وقد كانت الطبيعة من أهم مصادر الإبداع الفني ويثبت لنا بالنص الناصع والدليل القاطع أن الشعراء العرب استلهموا بيئة الجاهلية من المياه والامطار والانهار والبحار والبساتين وفي قصائدهم وعرضوها معارض شتى في أشعارهم، مع إفتنانهم في الاستلهام والعرض وصوروا فيها مظاهرها الواسعة المتنوعة وأشكال اصطناع العرب لها في حياتهم. والبيئة في العصر الجاهلي كانت غنية بمظاهر الطبيعة، التي ألهمت كثيرا من الشعراء بسحرها وأسلوبها وجمالها، حتى صارت مصدرا

---

[1] أحمد الإسكندري ومصطفى عناني: الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، ط 4، مطبعة المعارف ومكتبتها، 1342هـ - 1924م، 44- 45.

[2] ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط 7، 1988، ص 142.

أساسيا، استقى واستفاد منه الشاعر الجاهلي كثيرا من ابداعه وفنه. فأنتجوا صورا فنية غاية في الدقة والإبداع وهي من العوامل التي تثير قريحة المبدع، وتحثه على الإبداع، يروي ابن قتيبة أنه لم يستدع شارد الشعر بمثل الماء الجاري، والشرف العالي، والمكان الخضر الخالي. وقد أكثر الشعراء الجاهليون من ذكر النبات، وكثرة الماء فى أشعارهم، وكان الشاعر الجاهلي يبدأ قصيدته بالأطلال، ويذكر الرحلة التي يصف من خلالها كل ما يراه في طريقه، وكأن هذه الرحلة كانت وسيلته للخلوة والاندماج مع الطبيعة لإتمام عملية الإبداع بأحسن صورها، يصف المنخل اليشكري لهوه مع امرأة مستوحيا صوره من الطبيعة الحية، من مطر، وطيور، وضباء فيقول:

ولقد دخلت على الفتاة

الخدر في اليوم المطير

فدفعتها فتدافعت

مشي القطاة إلى الغدير

ولثتمتها فتنفست

كتنفس الظّبي البهير."[1] هذا ويبقى التاريخ الحقيقي للبدايات الشعرية يبقى غير محدد، غير أن هذه المقاربات الافتراضية يعود لها الفضل في محاولة تحديد –على الأقل– العصر الاجتماعي الذي قيلت فيه تلك المحاولات. لذا فإنه من ذهب إلى أن التأريخ لأولية الشعر العربي بعصر المهلهل وامرئ القيس، مذهب لم تستغه القراءة الحديثة معتمدة في ذلك على أن الشعر العربي الذي استوى على هذه الدرجة الفنية الراقية والصنعة المتميزة والموسيقى المبدعة يبرهن على أن هناك مراحل متقدمة تعد بالقرون، كانت فترة اختمار وتبلور واستواء قبل أن ينضج بهذا الشكل المتميز عند أقدم شاعرين وصل إلينا شعرهما كالمهلهل وامرئ القيس، فالشعر يتشكل تدريجياً، فلا يعقل أن ينطلق امرئ القيس ومن زامنه من الشعراء الفحول من فراغ فيبدعون ويضيفون الشيء الكثير للقصيدة العربية دون الإفادة من التجارب السابقة مهما كان مستواها الفني، كذا من يقرأ

[1] ينظر الموقع التالي: www.diwanalarab.com ، تاريخ الزيارة: 10-10-2024

شعر المهلهل، والشنفرى، وتأبط شراً، وهم من نوابغ القرن الخامس وأوائل السادس يرى فيه من البلاغة والانسجام ما لا يجوز الحكم معه بأنهم كانوا في طليعة شعراء العرب.

وخلاصة القول ومن هنا فأن الوقوف على أولية الشعر العربي وتحديد زمانه وتقديم شواهد مادية على ذلك في ضوء ما لدينا من معلومات وإمكانات أمر عسير إن لم يكن مستحيلاً وأن كل ما قدم من نظريات ليس إلا محاولات للسير في طريقاً طويل وعر وشائك وغامض ولا شك أن الشعر العربي قديم الزمن طويل العمر تقع اوليته وراء المهلهل وامرئ القيس وإنها لأبعد بالتأكيد مما حدد الجاحظ وغيره وهذا الشعر لم يلد فجأة كما لم ينضج فجأة وإن ما هو نتاج حقب زمنية بعيدة، ويمكن وصف تلك الأولية في النقاط التالية:

1. أن تحديد أولية الشعر العربي على رأي بعض الدارسين بمائة سنة قبل الهجرة ليس تحديداً جامعاً ذلك أن هذه النظرية معتمده أساساً على عرف شاع في الأوساط الأدبية وهو ان الشعر العربي بدأ ناضجاً بالمهلهل وهذا العرف لا يمنع من وجود شعراء نضج شعرهم قبل هذا الشاعر.
2. إن تحديد الجاحظ لعمر الشعر العربي الجاهلي بمائة وخمسين أو مائتي سنة قبل الإسلام يقع تحت دائرة السؤال أين شعر الفترة اللاحقة وإن كان رأي الجاحظ من أقرب الآراء إلى الصحة.
3. القول بأن المقطعات كانت مرحلة تمهيدية للقصائد الطويلة قول غير مقنع لأن هذه المقطعات وصلت إلينا في صورة ناضجة فنياً كما أنه ليس شرطاً أن تكون هذه المقطعات صورة تمهيدية للقصائد الطويلة.
4. إن القول بأن الرجز هو أول البحور الشعرية ظهوراً ومنه انبثقت البحور الأخرى قول لا يسلم لأصحابه به لأنه ليس لديهم دليل على أن الأشعار الأولى كلها كانت على بحر الرجز.
5. القول بأن الرجز تطور عن غناء الركبان والحداء قول تنقصه الأدلة المنطقية لأنه لا دليل على ذلك.

6. أن خروج بعض القصائد المأثورة عن العصر الجاهلي وما ورد منها عن قدماء الشعراء على عروض الخليل ليس دليلا كافيا على أولية هذا الشعر.

المحاضرة الرابعة:

مصادر الشعر الجاهلي:

تمهيد:

يُعد الشعر الجاهلي أحد أهم الموروثات الأدبية التي وصلت إلينا من العصر الجاهلي، وقد اعتمد الباحثون على عدة مصادر لجمعه ودراسته، وذلك لأن العرب في الجاهلية لم يكونوا يدونون شعرهم، بل كان يُنقل شفهيًا، فالعرب في العصر الجاهلي كانت يعتمدون في نقل أشعارهم على المشافهة مما كان لها أثر بالغ في جعل موضوع الرواية والرواة العصب الأساس الذي ارتكزت عليه القراءات الحديثة في كثير من الإشكالات التي أُثيرت حول الشعر الجاهلي، خاصة وأن القراءات الحديثة قد وجدت نفسها تبحث في هذا الشعر الذي يمتد عمره في التاريخ العربي السحيق، ولم يُلتفت إلى تدوينه إلا في العصر الأموي مع انتقال العرب من طور الثقافة الشفهية إلى طور الاهتمام بالتدوين والكتابة كآلية لحفظ أصول الدين، وأصول اللغة العربية بما فيها الشعر الجاهلي بوصفه أحد الأصول الأساسية لهذه اللغة، يضاف إلى ذلك أنه يمثل ميراث الأجداد والحضارة في عمقها الاجتماعي والثقافي وحتى العقائدي، لذا كان لزاماً على الرواة أن يبادروا إلى تدوينه في قراطيس تحفظه من تلاعب عوامل الدهر بعد أن لبث أمداً طويلاً يعتمد في نقله على الرواية الشفهية.

لقد كان لتسرب الوضع في الرواية الشفهية للشعر الجاهلي بفعل عوامل عديدة منها العصبية الدينية وغيرها واقترنت نشأة الشعر برحلة العمل الجماعي، سواء أكان في رحلة للصيد، أم لجني الثمار، أو بتأدية عمل لا يمكن أن يؤديه فرد واحد. ان العمل الجماعي يوحد الأفراد ويقلل من تعبها ويقرب من تحقيق هدفها، وقد قاد هذا إلى التحام حركة الفرد بحركة زميله فكانت قوة إنجاز عملي، لذلك كانت أغنيات البدائيين نداءات،

وكان إيقاعهم تنظيماً لحركات الأداء العملي[1]، كما كان الأمر بالنسبة للحديث النبوي الشريف في عصر ما قبل حركة التدوين في العصر العباسي الدور الأساس في إثارة إشكالية النحل والانتحال حول الشعر الجاهلي، بدءاً من عصر التدوين عند كثير من العلماء القدماء كابن سلام وغيره. الرواية الشفهية وتدوين الشعر الجاهلي من الإشكالات التي تدارستها القراءة العربية الحديثة من أجل البحث في إشكاليات هذا الشعر، فعدها طه حسين في مؤلفه " في الشعر الجاهلي" من المرتكزات الأساسية التي تدعم طرحه في الشك في هذا الشعر، فبعد أن فرغ في طرح الأسباب العامة التي رآها كانت تحمل على الانتحال، والتي تتصل بظروف الحياة السياسية والدينية والفنية للمسلمين، أراد أن يفصل في الأسباب التي تتصل بأشخاص أولئك الذين نقلوا إلينا شعر العرب ودونوه، وهؤلاء الأشخاص هم الرواة كحماد الراوية وحماد عجرد وحماد الزبرقان ومطيع بن إياس وأبي عمرو الشيباني، فكان لفساد مروءتهم وأخلاقهم الدور الرئيس في إمعانهم في الوضع في الشعر الجاهلي فإذا فسدت مروءة هؤلاء الرواة وأحاطت بهم مثل هذه الظروف، كان من الحق علينا ألا نقبل مطمئنين ما ينقلون إلينا من شعر القدماء، وبذلك تثير القراءة العربية الحديثة للشعر الجاهلي من خلال "طه حسين" إشكالية مصادر هذا الشعر لتفتح المسألة لكثير من الأقلام للبحث والتنقيب، واضعة نصب عينيها تجلية الحقيقة العلمية وفك الكثير من الخيوط التي تركتها عملية تدوين الشعر الجاهلي.

المتأمل للمصادر الأدبية للشعر الجاهلي يحيلنا على الوقوف عند هذه التسمية وقفة تحر لكي نرى ما يمكن أن يكون هناك من فوارق بين مصطلح "المصادر" والمصطلح الآخر الذي يكثر استخدامه كذلكن وهو مصطلح المراجع. فمن الدارسين من يرى أن المصدر هو كتاب تناول موضوعاً وعالجه معالجة شاملة عميقة ناو هو كل كتاب يبحث في علم من العلوم على وجه الشمول والتعمق، بحيث يصبح أصلاً لا يمكن لباحث في ذلك العلم الاستغناء عنه كالجامع الصحيح للبخاري، وصحيح مسلم هما أصلاً ومصدران في الحديث النبوي، ينما تعد كتب الأحاديث المختارة كالأربعين النووية، من

[1] ينظر الموقع التالي: www.diwanalarab.com، تاريخ الزيارة: 10-10-2024

المراجع في ذلك. وككتاب الكامل للمبرد، وصبح الأعشى للقلقشندي، فهي أصول ومصادر في الأدب، وغيرها مما أخذ عنها مرجع. ومثل هذا نقول في تاريخ الطبري سيرة ابن هشام كلها أصول ومصادر في بابها، وما اقتبس أو استمدّ منها مرجع في بابه.

تعريف المرجع: المرجع هي صيغة اسم مكان، ويقصد به المكان أو الموقع الذي يرجع إليه شخص من الأشخاص، أو الذي يصرف إليه شيء من الأشياء أو يرد إليه أمر من الأمور. والمرجع هو كل ما يشتمل على معلومات لها صلة بالمادة الأساسية الواردة في المصدر. والمرجع عند هذا الدارس: فهو ما يساعد على فهم النّص الأدبي وتوضيحه وتفسيره وتقويمه. ومن جهة أخرى نجد محاولة لحل هذا الإشكال عن طريق استخدام مصطلح إضافي. فالنسبة للمعاجم ودوائر المعارف وكتب الطبقات وكتب التراجم وما أشبه يطلق عليها مصطلح" المراجع العامة"، في مقابل المراجع الخاصة، التي يتصل كلّ منها بفرع بعينه من المعرفة، أو بموضوع بعينه لا يعدوه إلى سِواه. ومن ثمّ يعد كتاب ككتاب الأغاني، لأبي فرج الأصفهاني، مرجعاً عاماً في حين يعد كتاب ككتاب "شعر الغناء في المدينة "مرجعاً خاصاً. وهناك أيضاً" المراجع الأصلية"، ويقصد بها تلك المؤلفات التي كتبت حول المصادر في الزمن الذي صنّف فيه هذا المصدر، أو في زمن قريب منه. ومن ثمّ يصبح شرح المرزوقي لحماسة أبي تمام، أو شرح الأنباري لمفضليات الضبّي، مرجعاً أصليّاً لفهم هذه الأشعار، وهذا في مقابل ما يُسمى بالمرجع المساعد، وهو المرجع الذي لا يتصل أصلاً بمادة المصدر ولكنه يمكن الإفادة منه بطريقة غير مباشرة في إلقاء الضوء عليها. وقد تصنّف المراجع تصنيفاً آخراً وقفاً لقدمها وحداثتها، فيقال مرجع قديم ومرجع حديث، والمرجع الحديث يفيد غالباً من المرجع القديم. فكتاب الكامل للمبّرد مرجعاً قديماً في أدب الخوارج وغيره، في حين أنّ كتاب أدب الخوارج للدكتورة سهير القلماوي مرجعاً حديثاً. أمّا بالنسبة للمصادر فغنها تصنّف كذلك في نوعين متمايزين، دون أي اعتبار للقدم والحداثة، هما المصادر الأساسية والمصادر المساعدة. فالمصادر الأساسية:" هي التي استهدف بها أصحابها الجانب الأدبي بدءاً". وأنّ المصادر المساعدة فهي التي:" تتمثل في نصوص ادبية وهامّة، مبثوثة في مضانّ غير أدبية، من المعاجم وكتب النحو

واللغة أو الجغرافيا والتاريخ". وكذا نحصل على المصطلحات التالية: المراجع العامة– المراجع الخاصة–المراجع الأصلية–المراجع المساعدة–المراجع القديمة–المراجع الحديثة– ثمّ المصادر الأساسية والمصادر المساعدة.

تعريف المصادر:

المصادر في اللغة: جاء في لسان العرب لابن منظور" من فعل صدر، صَدَرَ الصَّدْرُ في لسان. صدرا وصدورا، أي وقع وتقرر، وصدر الشيء عن غيره: نشأ. ويقال: فلان يصدر عن كذا: أي يستمد منه. ويصدر عن المكان والوارد صدرا وصدورا: رجع وانصرف، وصدر إلى المكان: انتهى إليه. أصدر الأمر: أنفذه وأذاعه، وصدر الرعاء دوابهم: سقوها وصرفوها عن الماء. هو أعلى مقدّم كل شيء وأوله، صدر النهار وصدر الليل، وصدر كل شيء أوله. والمصدر من الخيل السابق[1]. ومما جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص 23]، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾[الزلزلة 06]، أي بدء مسير الناس إلى المحشر، ويدل أيضا على مقدم جسم الشيء، أو أعلاه الذي يبدأ منه أضخمه كصدر الإنسان، وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَم نَشرَح لَكَ صَدرَكَ ﴾ [الانشراح 1]، ومنه قالوا: صدر كل شيء مقدمه. ويقال فلان يورد ولا يصدر: يأخذ في الأمر ولا يتمه. صادرت الدولة الأموال: استولت عليها عقوبة لمالكها الأصدر: العظيم الصدر. طريق وارد صادر: يكثر فيه مرور الناس ذهابا وإيابا. الصدر: ثوب يغطي الصدر. الصدارة: التقدم. المصادر جمع مصدر، والمصدر يقوم على ثلاثة حروف أصول، هي: الصاد والدال والراء، قال ابن فارس: إنهما أصلان صحيحان أحدهما يدل على خلاف الوِرْد، والآخر صدر الإنسان وغيره ... فالأول قولهم: صدر عن الماء، وصدر عن البلاد، إذا كان ورَدها ثم شخص عنها.

[1] ابن منظور، لسان العرب، باب الصاد، ج 28

المصدر في الاصطلاح: يستعمل المصدر في الاصطلاح النحوي للدلالة عما يصدر عنه الشيء، ويعرفه علماء اللغة بأنه: صيغة اسمية تدل على الحدث فقط، أو على اللفظ الدال على الحدث مجردا عن الزمان متضمنا أحرف فعله فقط، وهذا ما استندت إليه مدرسة البصرة في القول في أصل الاشتقاق، الفعل هو أم المصدر، فرأت البصرة أن الفعل يؤخذ من المصدر، ورأت الكوفة أن المصدر يؤخذ من الفعل. أما في الاصطلاح العام فهو الأساس (المتبع) الذي أخذت منه الفروع، وهو الأصل الأول للمادة، ومعنى هذا أن المصدر يحتوي على المادة الأصلية والمرجع هو الكتاب الذي رجع فيه صاحبه إلى هذه المادة في مصدرها وأفاد منها. فالصدر أصدق ما يكون حين يطبق على الآثار التي تضمّ نصوصاً أدبية، شعراً أو نثراً لكاتب واحد أو مجموعة من الكتاب، لشاعر فرد أو لطبقة من الشعراء، أو لخليط من كتّاب وشعراء وخطباء، رويت هذه الآثار شفاهاً، أو دونت في كتب أو نُقشت على الأبنية، ووصلتنا دون تعليق على النّص أو تفسير له، دون تمهيد لهاة تعليق عليه. وهو المكان الذي يرجع إليه لأعلى شيء وأوله، والمصدر مساو للمرجع ويزيد عليه في أن الرجوع فيه مرتبط بالأشياء الأساسية أو الأولية وبتعبير آخر هو ذلك الكتاب الذي نجد فيه المعلومات الصحيحة كاملة وأصلية[1]. والمصادر كتب شاملة مركزة في مداها ومجالها ومعالجتها للموضوع. ولا تستعمل المصادر لمجرد القراءة والتسلية، وإنما للبحث عن قضية معينة أو التأكد من صحة معلومة ما أو فسادها، وهي غالبا تكون مرتبة بشكل معين لتسهيل عملية إيجاد المعلومات بسرعة ويسر، وإن لم تكن مرتبة فإنها تزود بفهرست أو كشاف مفصل. ومهما يكن من خلاف فإن المصدر يعني المنهل الذي يصدر منه الشيء. والمصدر اللغوي أو الأدبي: هو الأصل الأول الذي أخذت عنه المادة اللغوية أو الأدبية أو النقدية. والمقصود بالمصدر العربي هو ما كتب بالعربية من تراث فكري وأدبي حفظه التاريخ إلى يومنا هذا. هو كل كتاب تناول موضوعا وعالجه معالجة شاملة عميقة، أو هو كل كتاب يبحث في علم من العلوم على وجه الشمول والتعمق، بحيث يصبح أصلاً لا يمكن لباحث في ذلك العلم الاستغناء عنه.أما المرجع هو الكتاب

[1] ينظر: حامد صادق قنيبي، محمد عريف الحضراوي: مدخل للدراسات الأدبية واللغوية والمعجمية القديمة والحديثة، دار ابن الجوزي عمان، 2005، ص 20

الذي يستقي من غيره فيتناول موضوعاً أو جانباً من موضوع فيبحث في دقائق مسائله ومقاصده، ويشكل على هذا التفريق أن المناط المناسب في تحديد المصدر هو أصالة المادة، وليس الشمول للموضوع .كما أن الزمن كذلك لا ينبغي أن يكون معياراً لتحديد الفرق بين المصدر والمرجع، لأنه قد يكون المصدر حديثاً لأنه يعتبر أقدم ما يحوي مادة الموضوع. وتبقى المصادر الأدبية فهي الأساس الذي يستمد منه الباحث مادة بحثه ويأخذ عنها الكثير من أفكاره، ويقتبس منها آثار المعرفة الإنسانية، فبواسطة هذه المصادر نقف على آراء الأقدمين والمحدثين والمعاصرين، يقول عبد المنعم خفاجي: «هي الثمرة الناضجة التي يقطف منها العالم والمتعلم كل ما يشاءان"[1] .

ويمكن تلخيص أهم الفروق بينهما في النقاط الآتية:

-المصدر هو أصل المعلومة أما التذييل فهو المرجع

-المصدر هو جهة صدور المعلومة أو مكانها

-المرجع هو جزء من المصدر

- ألفت المراجع لعامة القراء لكي تكون أقرب إليهم لتحصيل علم ما، بينما ألفت المصادر لخاصة القراء والمهتمين بالعلوم.

- أوثق المصادر على الإطلاق القرآن الكريم لموثوقية مصدره، وهو الوحي الإلهي المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. تليها الأحاديث النبوية الشريفة المستقاة من كتب الحديث الصحيحة، كصحيحي البخاري ومسلم..

انبرت كثير من المقاربات للبحث عن مصادر الشعر الجاهلي، هادفةً إلى تجلية الحقيقة من حول هذا الشعر، ومن القراءات الرائدة في ذلك دراسة ناصر الدين الأسد التي وسمها بـ "مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية"، فخاض فيها الدروب الوعرة في قضايا تدوين هذا الشعر وفق منهج استقصائي واضح المعالم، معتمداً في ذلك على جهاز معرفي

[1] ينظر: عبد المنعم خفاجي، البحوث الأدبية ومناهجها ومصادرها، ص 76، 77.

دقيق، فعمل من أجل إثبات كل ما يستند إلى سند علمي واضح المعالم في مسألة الشعر الجاهلي، وتوجس من كل ما لم يسنده المنهج العلمي، منطلقاً في إثبات المصادر الرئيسة للشعر الجاهلي من النصوص والروايات في حد ذاتها، فالمنهج العلميُّ الرصين في تحقيق مصادر صحة الشعر الجاهلي جعل القراءة التاريخية العربية الحديثة تبحث في الوسائل التي اعْتُمِدَ عليها في نقل هذا الشعر، حتى كُتِب ودُوِّنَ، فأثارت قضية الرواية والرواة حيث خصص ناصر الدين الأسد فصلاً كاملاً في مؤلفه لهذه المسألة سماه " الرواية والسماع".

إن ارتباط رواية الشعر الجاهلي بالشفهية هو الذي جعل القراءة التاريخية العربية الحديثة تركز عليها بوصفها المنفذ الذي يمكن أن يُطعن من خلاله في صحة الكثير من الشعر الجاهلي، كما حدث مع المستشرقين وطه حسين، كما اعتبرتها قراءات أخرى دليل إثبات على صحة هذا الشعر مع ناصر الدين الأسد في المؤلف السابق الذكر، وعز الدين إسماعيل في كتابه " المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي". "ونجد أن أسلوب الرواية والسماع بالأسانيد كان له دور كبير في حفظ كثيرٍ من أشعار الجاهليين وصحتها، على عكس ما يذهب المستشرقون من الشك في مصادر الشعر الجاهلي ومنابعه، وليس أدل على اهتمام المؤرخين والرواة بتقييد المصادر والتأكد من صحتها من عدد من الأخبار المتناثرة في بطون الكتب تنبئ عن اتخاذ أسلوب "توثيق السند والمتن" في رواية وكتابة قصائد العصر الجاهلي فقد ذكر "الأصمعي" – الراوية واللغوي الشهير – يومًا بني أمية وشغفهم بالعلم، فقال: «كانوا ربما اختلفوا وهم بالشام في بيت من الشعر، أو خبر، أو يوم من أيام العرب، فيبردون فيه بريدًا إلى العراق. وقال غيره: كنا نرى في كلِّ يوم راكبًا من ناحية بني أمية ينيخ على باب قتادة (توفي سنة 118 هـ) يسأله عن خبر أو نسب أو شعر، وكان قتادة أجمع الناس"[1]. شكل السماع أساساً للرواية عند العرب قبل ظهور التدوين، وذلك ما راحت تبحث فيه القراءة العربية الحديثة، فاعتبرت الرواية المتصلة من الجاهلية حتى القرن الثاني الهجري لم يشبها تقطيع أو انقطـاع؛ إذ أن رواية الجاهلية: أشعارها وأخبارها، لم تنقطع منذ الجاهلية، بل لقد اتصلت في زمن رسول الله (صلى الله

[1] www.alukah.net ، تاريخ الزيارة: 22-11-2024

عليه وسلم) وخلفائه الراشدين، واستمرت طوال القرن الأول حتى تسلمها العلماء الرواة من رجال القرن الثاني، ولم تكن ثمة فجوة تفصل هؤلاء الرواة العلماء عن العصر الجاهلي، وإنما تلقفوه عمن تقدمهم، وورثوه عمن سبقهم، رواية متصلة، وسلسلة محكمة ، يأخذها الخلف عن السلف، ويرويها الجيل بعد الجيل، حريصين عليها معنيين بها. ولم يشغلهم عن إنشاء الشعر وروايته، وذكر أخبار العرب وأيامهم ومفاخرهم ومثالبهم، في مجالسهم ومحافلهم، شاغل من الحرب أو فتنة، حتى لقد رأينا المسلمين الأولين، والمشركين من كفار قريش، لا ينقطعون عن إنشاد الشعر الجاهلي وروايته والتمثل به وتعلمه وحفظه، فأين هذا كله من قول ابن سلام وغيره، إن العرب تشاغلت عن الشعر لما جاء الإسلام " وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته. فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب بالأمصار، راجعوا رواية الشعر، وبذلك يؤكد صلابة الطرح الذي يعتمد في القول بصحة الشعر الجاهلي انطلاقاً من اتصال الرواية دون انقطاع مما يقلِّل من حظوظ التلف.

حُوفظ على اتصال الرواية الشفهية من حقبة زمنية إلى أخرى، بحيث كانت في العصر الجاهلي وعلى زمن الرسول (صلى الله علية وسلم) والخلفاء الراشدين وطِوَال الفترة الأمية، ولتأكيد هذه الحقيقة فصَّل فيها ناصر الدين الأسد مستشهداً بعدة روايات وأخبار متواترة تثبت ذلك وتؤكده.

والأمر نفسه تثبته قراءة عز الدين إسماعيل في مؤلفه "المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي"، فيؤكد أن رواية الشعر الجاهلي كانت متصلة من الجاهلية إلى أوائل القرن الثاني الهجري، لأن العرب أدركوا منذ الجاهلية، وفي إطار النظام القبلي، قيمة الشعر والشاعر في حياتهم، ومن ثَمَّ كان احتفالهم بنبوغ شاعر منهم، وحرصهم على حفظ شعره وروايته جيلاً بعد جيل، لا يملون من هذا ولا يسأمون... ومع عناية القبيلة كلها بشعر شاعرها كان لكل شاعر راوية خاص، وهو تقليد ظل مستمراً إلى عهد جرير والفرزدق في العصر الأموي ... فاتصلت حلقات الرواة الشعراء من الجاهلية إلى عصر بني أمية، وبذلك تثبت القراءة العربية الحديثة صحة الشعر الجاهلي في

أغلب ما وصل إلينا. إن هذا الطرح نفسه يتبناه طاهر مكي فيذهب إلى أن الرواية المتصلة للشعر الجاهلي لم تفتر ولو لفترة قليلة حتى حل عصر التدوين. وقد اضطلع الشعراء أنفسهم بدور هام في الرواية، فكانت لهم المدرسة التي يتعلمون فيها صوغ الشعر ونظمه، والتمرس بأساليب الكلام وفنون القول، ومن أراد أن يصبح شاعراً لزم واحداً من فحولهم، يحفظ عنه، ويروي له، ويرسم خطاه، ولدينا معلومات لا بأس بها عن اتصال هذه الرواية... ويصبح دور الراوي أكثر أهمية بعد وفاة الشاعر، لأنه يتعدى مهمة نشر القصائد إلى جمعها، وإظهار الظروف والمناسبات التي أوحت إليها، وتفسير الإشارات التاريخية التي تتضمنها، ويصبح بحكم الواقع أميناً على تراث هو ثمرة حياة صانعه، ومناط اهتمام القبيلة التي ينسب فيها، فذلك يعزز الأطروحات التي تسعى إلى إثبات صحة الشعر الجاهلي من روايته، فتجعل من قضية الرواية والرواة عنصر إثبات لا عنصراً يعزز ما ذهب إليه الشكاك من مستشرقين وعرب.

المصادر الأدبية واللغوية: هي الأساس التي يستمد منه الباحث مادة بحثه ويأخذ عنها الكثير من أفكاره، ويقتبس منها آثار المعرفة الإنسانية فيما يريد تناوله من فكر أو موضوع، فبواسطة هذه المصادر نقف على أراء الأقدمين و المحدثين و المعاصرين، وعنها نأخذ كلما نرى من أفكار الدارسين و الباحثين و الناقدين، ومن هنا صح قول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في مقدمة كتابه " البحوث الأدبية مناهجها و مصادرها" إن المصادر الأدبية "هي الثمرة الناضجة التي يقطف منها العالم والمتعلم كل ما يشاءان"، ولما كانت المصادر الأدبية متنوعة بتنوع فنون الأدب أصبح من اللازم لدراسة المصادر الخاصة بكل فن من فنون الأدب أن تسبقها دراسة خاصة لطبيعة هذه الفنون والمجال الذي يشتغل فيه كل منها وكذلك معرفة تطورها التاريخي.

عكف علماء اللغة على دراسة اللغة ووصفها وصفا دقيقا من جوانبها المختلفة الصرفية والنحوية والدلالية والبلاغية، إسهاما منهم في الحفاظ على الفهم الصحيح للقرآن الكريم والاستعمال الصحيح للغته العربية، وقد كرست المراحل الأولى لجمع اللغة وترتيبها، ثم اتسعت هذه العملية في المراحل التالية فتوالت الدراسات اللغوية المتخصصة، واختلفت

الآراء وتشعبت، واتضحت مناهج الدراسة اللغوية، وألفت العديد من المصادر المتخصصة في علوم اللغة، وترجع جذورها المصادر اللغوية إلى فترة ما بعد الفتوحات الإسلامية وسيادة اللغة العربية في بلاد واسعة ونطق الأعاجم مما أدى إلى ظهور اللحن والخطأ في التركيب اللغوي، مما دفع العلماء إلى جمع وتدوين اللغة محافظة على لغة القرآن والحديث كما قاموا بوضع كتب تتعلق بالنحو والصرف والبلاغة قصد حماية اللغة والحفاظ على سلامة اللسان العربي. ومن هذه المصادر نذكر:

نماذج من المكتبة الأدبية:

المعلقات: هي مجموعة من القصائد الجاهلية التي قيل إنها كُتبت بماء الذهب وعُلِّقت على أستار الكعبة. وتأتي في مقدمة الاختيارات الشعرية زمانا وأهمية، تراوح عددها بين خمس أو سبع أو عشر قصائد، وقد سميت أيضا بالمذهبات، وسبب هذه التسمية أن العرب من شدة إعجابهم بها كتبوها بماء الذهب وعلقوها على الكعبة، بعدما كانت عالقة في صدور رواة الشعر ومنهم حماد الراوية، كما سميت أيضا بالقصائد الطوال لأنها من أطول قصائد العرب، فجمعت بين الطول الدال على طول نفس الشعراء والجودة الفنية في نظمها. وتُعدُّ المعلقات من عيون الشعر العربي الجاهلي، ومن أحسن ما تداولته الروَّاة، وهي عبارة عن قصائد معيَّنة مختارة اختيارا دقيقا من بين ما قاله كلُّ شاعر، وقد بلغ الأمر بجليل أمرها أنها عُلقت بخزانة الملك أو علقت بالقلوب والأذهان، على اختلاف النقاد في هذه القضية. وقد اشتملت على وقائع وأيام العرب، وتجارب شخصية عاطفية ومفاخرة وشجاعة وبسالة، ووصف للخيل والمرأة وإسراف في شرب الخمر، وما إلى ذلك مما تضمنته هذه القصائد الفريدة. وقد حظيت المعلقات بشروح عديدة أهمها شرح الأنباري وشرح الزوزاني. وتعد من أبرز مصادر الشعر الجاهلي، ومن أشهر شعرائها:

امرؤ القيس

عنترة بن شداد

زهير بن أبي سلمى

طرفة بن العبد

لبيد بن ربيعة

عمرو بن كلثوم

الحارث بن حلزة

المفضليات: وهي مجموعة من القصائد الجاهلية جمعها أبي العباس المفضل محمد بن أبي يعلى الضبي في العصر العباسي. والمجموعة سميت هكذا نسبة إليه، وهو من رواة الشعر (ت 168هـ). يعتبر كتاب المفضليات من أقدم المختارات التي وصلت إلينا، ويتضمن مائة وثلاثون قصيدة في طبعتها الأخيرة بتحقيق الأستاذين أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون. ومما تمتاز به مجموعة المفضليات أن قصائدها من الأشعار القديمة لستة وستين شاعرا من الجاهليين ليس بينهم سوى عدد قليل من المخضرمين وأوائل الإسلاميين.

الأصمعيات: لأبي سعيد عبد الملك بن قريب، المعروف بالأصمعي (122هـ-216هـ)، وهو تلميذ المفضل، وكان من رواة الشعر أيضا، حيث عكف طويلا على جمع الشعر والأخبار والنوادر من الرواة ودونها. طبعت الأصمعيات في مصر سنة 1955، وحققها أحمد شاكر وعبد السلام هارون. وهي عبارة عن مختارات شعرية سمية بالأصمعيات نسبة للأصمعي حتى يتم التمييز بينها وبين المفضليات. وهي تضم عددًا من القصائد الجاهلية التي جمعها الأصمعي، أحد أعلام اللغة والأدب.

طبقات فحولة الشعراء: للأصمعي يعد هذا الكتاب أول أثر مكتوب وصل إلينا في النقد العربي، على الرغم من أن صاحبه لم يقصد إلى تأليفه وإنما هو إجابة شفوية مرتجلة عن سؤال تلميذه السجستاني عندما زاره هذا الأخير وهو يحتضر مستفسرا عن أفحل الشعراء، لذلك فهو إذن مرحلة شفوية أقرب منه إلى مرحلة التأليف المنظم وترتبط مقاييس الفحولة عند الأصمعي بعناصر ثلاث:

1-الإجادة التامة في كل شعر على مستوى التشبيهات والتراكيب البلاغية.

2-تنوع الإنتاج بحيث يقول الشاعر في كل الأغراض ويركب في كل قافية.

3-وفرة الإنتاج.

طبقات فحول الشعراء: ابن سلام الجمحي (231هـ)، قراءة محمد محمود شاكر. ويظهر تأثر الجمحي بالأصمعي في هذا الكتاب الذي يعتبر ثاني مصدر نقدي من عنوانه، غير أن كتاب الجمحي يقدم مادة شعرية ونقدية مهمة، كما أن مقدمته من أنجح ما وصل إلينا من النصوص النقدية، وتباينت مواقف الدارسين إزاء هذا الكتاب في قضيتين أساسيتين. أولهما: هل يعد عمل ابن سلام في هذا الكتاب عملا نقديا أو عملا تدوينيا، وثانيهما: هل هو كتاب في النقد الأدبي أم في تاريخ الأدب والواقع أن أهمية الكتاب تظهر ضمن اعتباره ضمن تاريخ الأدب لأنه يقدم مادة شعرية هائلة لأكثر من 100 شاعر بين جاهلي وإسلامي أما مادته النقدية فضامرة إذا ما قورنت بالمادة الشعرية. ويعدّ من أهم المصادر النقدية، حيث قام ابن سلام بتصنيف الشعراء إلى طبقات، واعتمد على معايير نقدية للحكم على جودة شعرهم. ذكر أن بعض الأشعار نُسبت إلى غير أصحابها بسبب النقل الشفوي، مما يجعله مصدرًا مهمًا في تمحيص صحة الروايات الشعرية.

البيان والتبيين: عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ (255هـ)،تحقيق عبد السلام هارون. يعتبر الجاحظ أول ناقد حاول هدم الأسس القديمة في الأدب العربي، كما هاجم تصنيف الشعراء في طبقات فنية، وهاجم اعتداد أهل النحو واللغة للشعر الجاهلي، وطرح بديلا تمثل في احتفائه بالصورة الشعرية دون غيره.

الكامل في اللغة والأدب: للمبرد محمد بن يزيد أبي العباس (285هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. من المصادر الأدبية العامة كذلك على غرار البيان والتبيين، فعنوانه يشي بذلك، إذ يجمع بين قضايا أدبية و أخرى لغوية ومادته يطغى عليها الإخبار ومن خلال ذلك يعالج مسائل ذات طبيعة نقدية صرفة، أبرزها مسألة الضرورة الشعرية، كما يتحدث في فصل من كتابه عن التشبيه و لكنه لم يتحدث عنه كما تحدث عنه آخرون بل اهتم به من الناحية الجمالية وليس باعتباره قواعد منطقية متفق عليها.

قواعد الشعر: ثعلب بن يحي أبي العباس(291هـ)، تحقيق رمضان عبد التواب. يمثل أول محاولة تدرس النص الشعري العربي دراسة علمية تصنيفية توظف معارف العصر

البلاغية للعروض، مما اضطر المؤلف إلى وضع كثير من المصطلحات أخلت في النهاية بالكتاب.

كتاب البديع: ابن معتز(296هـ)، نشرة كراتشكوفيلسكي. حاول أن يصحح فيه خطأ شاعر في زمنه وأصبح من المسلمات وهو أن البديع من ابتكار المحدثين وليس من ابتكار القدامى وعنوانه يوحي أنه في البلاغة غير أنه من محتواه يظهر أنه يقصد بالبديع كل الأنواع التعبيرية اللغوية كانت أم المعنوية التي وظفت في إنتاج الشعر.

عيار الشعر: ابن طباطبا محمد بن أحمد العلوي أبي الحسن(322هـ)، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم والنشر،الرياض.1985م .فكرته المركزية هي مسألة الوزن التي تميز الشعر عن النثر ومسألة القديم والمحدث وفي تصوره أن القدماء تناولوا كل الموضوعات وطرقوا كل المعاني ولم يتركوا للمحدثين مجالا للكلام ومن هنا اضطروا إلى السرقة من شعر القدماء، ولذلك يدافع ابن طباطبا عن سرقات المحدثين بشكل فلسفي محض.

أخبار أبي تمام : لصولي محمد بن يحي أبي بكر(335هـ)، تحقيق محمد عبده غرام وخليل عساكر ونظير الإسلام الهندي. وهو مصدر عظيم غير أنه في حساب النقد تظل أخباره ضئيلة القيمة ومعلوم عند النقاد أنه إذا كان الآمدي خصما لأبي تمام فإن الصولي مناصرا له.

نقد الشعر: قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي بن جعفر(337هـ)،تحقيق كمال مصطفى. يطرح فيه تعريفا للشعر" هو الكلام الموزون المقفى الذي يدل على معنى" ويحاول تحليل هذا التعريف بثقافة عميقة جعلت بعض الدارسين يردون جذورها إلى الفكر اليوناني وخاصة فلسفة أفلاطون التي ترى أن الأشياء الحسية ما هي إلا أشباح لحقيقتها الكلية في عالم المثل وعنده أن الشعراء يريدون الوصول إلى القصيدة المطلقة من خلال تعريفه لكنهم لم ولن يصلوا.

الأغاني: لعلي بن الحسين أبي الفرج الأصفهاني(356هـ)، تحقيق عبد الستار فراج.

يعد من أغنى كتب عصره في أخبار الجاهلية والإسلام وبني أمية في فن الغناء العربي وتاريخ المغنيين، واستقى الألحان الموسيقية الشائعة في عصره وكذا الأشعار التي تصاحب هذه الألحان، وفي هذا السياق يستعرض كثيرا من الأخبار ويطرح قضايا لغوية وتاريخية ونقدية، ترجمة لـ 5000 شاعر منهم من خصص له بعض الصفحات ومنهم من خصص له كتابا كما فعل مع بشار بن برد. يضم الأغاني أخبار الشعراء وسيرهم، إلى جانب ذكر أشعارهم ومناسباتها التاريخية. يعد مصدرًا هامًا لفهم الحياة الاجتماعية والثقافية في العصر الجاهلي.

الأمالي: إسماعيل بن القاسم أبي علي القالي (356هـ)،ط 2، نشرة دار الكتب المصرية، القاهرة عام1926م . يعد أساسا من كتب اللغة العربية حيث يأتي صاحبه بالنص المختار من شعر أو خطبة أو مثل لشرح ما به من ألفاظ غريبة أو اشتقاقات وفي هذا السياق ترد ملاحظات نقدية وتتميز أمالي القالي عن أمالي اليازيد وأمالي ابن الشجري و أمالي ابن دريد وأمالي أبي بكر الأنباري وآمالي الشريف المرتضى لأنها لا تعرف الاستطراد كثيرا.

الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وأبي عبادة الوليد بن عبيدة البحتري الطائي: أبي القاسم الحسن بن بشر بن يحي الآمدي البصري(370هـ)،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المسيرة ،(د. ط) 1944م .من أمهات المصادر النقدية الصرفة وتكمن أهميته في المعلومات و التحليلات والمناقشات وكذا في خطته المنهجية، مما سيؤدي ببعض النقاد مثل محمد مندور إلى اعتبار كتاب الموازنة والوساطة الكتابين المهمين الذين خلفهما العرب ففيهما يتجلى النقد المنهجي. ومحور الكتاب هو الموازنة بين الطائيين انطلاقا من عمود الشعر، وقد انتهى الآمدي اعتمادا على ذوقه الخاص وعلى ثقافته إلى ترجيح كفة البحتري على كفة أبي تمام.

الرسالة الحاتمية في ما وافق المتنبي في شعره كلام أرسطو في الحكمة: محمد بن الحسن بن المظفر أبي علي الحاتمي (388هـ)، نشر فؤاد البستاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1931م .يذهب الحاتمي إلى أن المتنبي قد سرق من أرسطو أفكارا وحكما فلسفية وصاغها في قالب شعري حتى أصبحت تدعى حكمة المتنبي ولذلك جاءت الرسالة

مطبوعة بجدة ثائرة في تعقب السقطات، كما ألف الحاتمي رسالة أخرى هي الرسالة الواضحة في ذكر سرقات المتنبي وسقطات شعره تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر أو دار بيروت، 1965م. وهي أول رسالة وافية صنفت في نقد شعر أبي الطيب، فأصبحت أصلا لكل الدراسات النقدية التي جاءت بعدها، كالوساطة واليتيمة وغيرها.

معجم العين للخليل بن أحمد الفراهدي: (ت100هـ)، وهو من المعاجم الصوتية لأن صاحبه رتب المادة اللغوية في كتابه على حسب مخارج الحروف من الحلق. وقد سار على ترتيبه هذا كثير من مؤلفي المعاجم، مثل: أبو علي القالي (ت365هـ) في معجمه: البارع، وأبو منصور الأزهري (ت 370هـ) في معجم: تهذيب اللغة، والصاحب بن عباد (ت385هـ) في معجمه: المحيط... وغيرهم.

مقاييس اللغة لابن فارس: هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي(ت395هـ). رتب ابن فارس معجمه وفقا للترتيب الأبجدي، فجعل لكل حرف كتابا، فكتاب في الهمزة، وكتاب في الباء، وكتاب في التاء.. وهكذا، ثم قسم كل كتاب إلى أبواب، فباب للثنائي المضاعف، مثل: أب.. وباب للثلاثي مثل: أبت.. وما زاد عن ذلك من الرباعي أو الخماسي خصه بباب، وبذلك اختصر ابن فارس أبواب الخليل حتى يتمكن من تطبيق نظريته تطبيقا محكما، ورغم أنه أخذ هذا الترتيب عن الخليل إلاّ أنّ مقاييس اللغة يعتبر معجما خاصا، يهم الباحثين في فقه اللغة العربية، وليس من المعاجم التي يرجع إليها في الأحوال العادية لمجرد الكشف عن معنى لفظة من ألفاظ اللغة.

الصحاح للجوهري: هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (332هـ-398هـ)، رتب الجوهري مادة هذا المعجم على أساس ترتيب حروف الهجاء، لا على أساس ترتيب مخارج الحروف الذي وضعه الخليل، وقد اعتبر في هذا الترتيب آخر حروف المادة لا أولها، فإذا كانت الألف المهموزة تأتي الأولى في ترتيب هذه الحروف فإنه يبدأ معجمه بباب يجمع فيه كل المفردات التي تنتهي بألف مهموزة، ثم يقسم هذا الباب وفقا لعدد حروف الهجاء إلى ثمانية وعشرين فصلا، آخذا في الاعتبار ترتيب حروف الهجاء، كما يعتبر الحرف الأول من المادة. وهكذا فقد أفرد الجوهري لكل حرف من حروف الهجاء بابا، وهكذا صار

معجم الصحاح مكونا من ثمانية وعشرين بابا، في كل باب ثمانية وعشرون فصلا. ويصل مجموع ما يضم الصحاح من الفصول اثنان وثلاثون وستمائة فصل، أما عدد المواد اللغوية فقد بلغت أربعين ألف مادة.

لسان العرب لابن منظور: هو أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي (630هـ-711هـ). اختار ابن منظور ترتيب مادة معجمه على نفس النظام الذي سار عليه الجوهري في صحاحه، أي نظام الباب والفصل، ولم يبتكر شيئا سوى أنه جعل من معجمه خزانة للغة العربية، لهذا فقد طال حتى صار في عشرين جزءا.

القاموس المحيط للفيروز آبادي: هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي مجد الدين أبو طاهر الفيروز آبادي (729هـ- 817هـ). يقال أن القاموس المحيط جمع ستين ألف مادة، وقد زاد على الجوهري وابن منظور بعشرين ألف مادة، وقد اتبع فيه مجد الدين في ترتيب ألفاظ معجمه الترتيب نفسه الذي اتبعه الصحاح ولسان العرب من قبل، فاشتمل معجمه على28 بابا حسب ترتيب حروف الهجاء لأواخر الكلمات، وكل باب ينقسم إلى فصول تشير إلى أوائل الكلمات التي ترتب أيضا حسب ترتيب حروف المعجم.

الخصائص لابن جني: هو أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، والكتاب هو أحد أشهر مصادر فقه اللغة وأسرار العربية ووقائعها، وهو يبحث في خصائص اللغة العربية، وإن اشتمل على مباحث تتصل باللغة بصفة عامة، مثل البحث في الفرق بين الكلام والقول، والبحث في أصل اللغة: أإلهام هي أم اصطلاح؟ أما بقية الأبحاث فتختص بفلسفة اللغة العربية ومشكلاتها.

الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لابن فارس: (ت395هـ)، وهو في فقه اللغة أيضا.

كتاب الأضداد للأنباري: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الانباري (271هـ-327هـ)، طبع الكتاب في الكويت سنة 1920، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم. وهو يعالج مسألة الأضداد في اللغة، وهي الألفاظ التي تحمل معنيين متضادين.

مجمع الأمثال للميداني: أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم الميداني (ت518هـ)، طبع الكتاب في الكويت سنة 1959م بتحقيق من الشيخ محمد محي الدين. وهو معجم جمع أمثال العرب، والأمثال صورة من صور الاستعمال اللغوي الأصيل، تكثف فيها الشعوب تجاربها في عبارة لغوية بليغة وموجزة، ويتوارثها الناس جيلا بعد جيل دون أن يتصرفوا في بنائها أو يبدلوا ألفاظها، وتصبح بذلك صورة أولية للغة لفظا واستعمالا وبناء، وتدخل كتب الأمثال ضمن كتب الأدب.

جمهرة اللغة لابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد (223هـ-321هـ)، اتبع ابن دريد في ترتيب الألفاظ ترتيبا ألفبائيا بعد أن وجد القراء صعوبة في استخدام معجم العين للخليل، الذي أقامه على ترتيب مخارج الحروف، وهو ما يقتضي معرفة صوتية لا تتأتى لعامة الناس، بينما الترتيب الألفبائي معروف لا يكاد يجهله متعلم.

المخصص لابن سيده: هو أبو الحسن علي بن أحمد بن سيده الأندلسي الاشبيلي، (ت 458هـ)، جمع المؤلف في كتابه ألفاظ اللغة العربية واستقصاها وبين مواضع استخداماتها وتصريفها وتفسير اشتقاقها.

مصادر السير والتراجم: عني العرب منذ القديم بالبحث في الأنساب وتدوين السير والتراجم بدءا بالسيرة النبوية الشريفة وسير العلماء والأدباء فكثرت كتب التراجم والسير والطبقات، وقد اختلفت هذه السير مضمونا ومنهجا، فمنها المتخصصة بفئة معينة كالشعراء أو الكتاب أو اللغويين. ومنها ما اقتصر على الترجمة لأعلام بلد محدد، ومنها ما توسع في مضمونه فشمل الأعلام في شتى الميادين وفي أزمنة وأمكنة مختلفة، وتكمن أهمية هذه التراجم في أنها تعطينا فكرة عن سمات العصر الذي عاش فيه هؤلاء الأعلام مما يعمق فهمنا لأعمالهم الأدبية والنقدية أو اللغوية... وفيما يلي سنعرض أهم مصادر السير والتراجم في التراث العربي:

طبقات الشعراء لابن سلام: محمد بن سلام الجمحي، (ت231هـ)، والكتاب من المصادر الأولى في النقد الأدبي وفي الوقت نفسه يمكن عده أيضا ضمن أحد كتب التراجم عن

الشعراء وأخبارهم. طبع الكتاب طبعة محققة بالقاهرة سنة 1952م ضمن سلسلة ذخائر العرب.

معجم الشعراء للمرزباني: هو أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني، (ت384هـ)، والكتاب هو أحد المصادر المهمة في سير الشعراء وتراجم حياتهم.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي: الكتاب مصدر لتراجم اللغوين والنحاة ومؤلفاتهم، منذ بداية التفكير اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن التاسع الهجري. صدرت طبعة محققة ومفهرسة للكتاب بعناية محمد أبو الفضل إبراهيم بالقاهرة سنة 1966.

الفهرست لابن النديم: هو مصدر من مصادر التراجم والسير ذات الصفة الشمولية والمستوعبة لأعلام كل الفنون والعلوم دون تخصيص لفئة معينة.

معجم الأدباء لياقوت الحموي: هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي،(574هـ-626هـ)، والكتاب يهتم بأخبار أعلام الأدب وسير حياتهم، وترجم فيه للشعراء والكتاب والنحويين واللغويين والقراء والنسابين والمؤرخين وأصحاب الرسائل. وقد صدر الكتاب في عشرين جزءا وطبع مرات عديدة في أوروبا والقاهرة.

وفيات الأعيان لابن خلكان: هو شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، (608هـ-680هـ)، وكتابه سجل حافل وجامع للأعلام في كل علم وفن على امتداد التراث العربي الإسلامي زمانا ومكانا، ترجم فيه لثمانمائة وخمس وخمسين عَلما من أعلام الأدب والفقه والإدارة والفلسفة والفنون والعلوم الطبيعية منذ بدايات التأليف في هذه الفروع، ومن شتى أنحاء الخلافة الإسلامية.

"**المزهر" لجلال الدين السيوطي:** يتناول تطور اللغة والأدب، ويورد العديد من الأشعار الجاهلية كمصادر لغوية.

وبالإضافة إلى هذه المصنفات هناك عدة مؤلفات أخرى، نذكر منها:

- أدب الكاتب وعيون الأخبار والشعر والشعراء لأبي محمد بن مسلم بن قتيبة (213هـ-276هـ)
- نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري (677هـ-733هـ)

- كتاب الأمالي لأبي علي القالي(288هـ-356هـ)
- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب لأبي العباس أحمد بن محمد للمقري (ت1041هـ)
- عيار الشعر لابن طباطبا العلوي ت322هـ
- كتاب البديع لابن المعتز ت296هـ
- الموازنة بين الطائيين للآمدي ت371هـ

المخطوطات والنقوش الأثرية: على الرغم من قلة النقوش التي تحتوي على شعر جاهلي، إلا أن بعض الاكتشافات الأثرية قدمت أدلة على تطور الكتابة العربية في العصر الجاهلي.

لم يكن الشعر يُدوَّن بكثرة في ذلك الوقت، لكن هناك إشارات إلى استخدام العرب لأنظمة كتابية مثل الخط المسند (في اليمن) والخط النبطي (في شمال الجزيرة العربية).

تشكل هذه المصادر مجتمعة الأساس الذي نعتمد عليه في دراسة الشعر الجاهلي، حيث قامت الرواية الشفوية بدور أساسي في نقل الشعر، ثم جاء العلماء المسلمون ليجمعوه في الدواوين والكتب النقدية واللغوية، مما ساعد في حفظه ودراسته حتى يومنا هذا.

المحاضرة السادسة:

المعلقات

تعدّ المعلقات من أعظم ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي، وهي قصائد طويلة تميزت بالفصاحة والبلاغة والموضوعات المتنوعة التي عكست حياة العرب في تلك الفترة. وقد اهتم بها علماء اللغة والأدب العربي، نظرًا لما تحمله من قيم تاريخية وثقافية ولغوية. في هذا البحث، سنتناول تعريف المعلقات، أسباب تسميتها، أبرز شعرائها، وخصائصها وأهميتها في التراث العربي.

قصائد المعلقات في الشعر الجاهلي: للأدب العربي مجموعة كبيرة من المصطلحات كان لها في أصل وضعها اللغوي دلالات خاصة وكانت في هذا الأصل اللغوي صفات صالحة لأن يوصف بها كل شيء اجتمع فيه ما يجعله صالحاً للوصف. أصبح لتلك الحقائق اللغوية في دلالة الألفاظ على معانيها سياقات أدبية عرفت بها وأصبح لها مدلولات خاصة عند أصحاب الأدب ودخلت بسبب هذا الاستعمال في باب الحقيقة المعرفية حيث أصبحت مصطلحات تدل على معاني خاصة معروفة عند مؤرخي الأدب. ومن أقدم هذه المصطلحات الأدبية التي عرفها التاريخ الأدبي(المعلقات)هذا الوصف الذي كان في البداية صالحاً لكل شيء يعلق ثم أخذ طريقه إلى الأدب وأصبح يطلق على

مجموعة معروفة من أقدم القصائد التي عرفت عن فحول الشعر العربي في العصر القديم وقد اختلف في عدد أصحاب هذه المعلقات عند الباحثين في الأدب العربي القديم.

حظيت المعلقات بقيمة أدبية عالية، وذلك لأن مواضيعها متعددة، وأصحابها من أشهر شعراء ذلك الزمان، بالإضافة إلى أنها تصور البيئة البدوية وحياة الجاهلية بتفاصيل دقيقة تبين رجولة الرجال وقوتهم في الشدائد وقوة العرب عموماً في صدِّ كل عدوان يتعرضون له، فتميزت النصوص الشعرية بقوة الحبكة والتعبير وجزالة المفردات ووفرتها بحيث بيّنت قوة اللغة العربية وقوة العرب في معالجة نصوصهم بدقة التصوير، واختيار المفردات مع الجرس الموسيقي الذي جعل من حفظها سهلاً.. هذه الصفات دفعت بكثير من أدباء الغرب إلى ترجمتها ودراستها ونشرها في العالم الغربي.

المعلقات لغة واصطلاحا:

المفهمة القاموسية: المعلقات هي جمع المعلقة، والمعلّقة صيغة التأنيث الواحدة لاسم المفعول. تأتي كلمة المعلقات من العَلْق، وهي جمع مُعَلَّق واسم فاعلٍ من علّق الشيء.. جذرها علّق، وجذعها مُعلّق، فكل شاة برجلها معلَّقة، أي أن كل شخص محَاسَب عن أعماله التي يقوم بها لوحده دون شريك. فالعلق هو كل شيء مُعَلّق . والعِلْق هو النفيس من كل شيء، وفي حديث حذيفة: «فما بال هؤلاء الذين يسرقون أعلاقنا أي نفائس أموالنا. وأصله: التعليق، يقال: "علّق الرجل" إذا ألقى زمام الركوبة على عنقها ونزل عنها، وعلق الشيءَ بالشيء، أي: وضعه عليه، وقال بعضهم: أنه من "العِلْق"، وهو: النفيس من كل شيء يتعلّق به القلب.

المفهمة الاصطلاحية: المعلّقات: مصطلح أدبي يطلق على مجموعة من القصائد المختارة لأشهر شعراء الجاهلية، تمتاز بطول نفَسها الشعريّ، وجزالة ألفاظها، وثراء معانيها، وتنوع فنونها، وشخصيّة ناظمها. وهي قصائد من الشعر الجاهليّ نفيسة من جواهر، وكانت من أشهر ما كتبه العرب قديماً. حيث تتميز تلك القصائد بثراء معانيها وقوة الحبكة فيها... كانت هذه القصائد تُكتب بماء الذهب قبل مجيء الإسلام، وتُعَلّق على أستار الكعبة، وهذا ما قيل عنها في أخبار الرواة والباحثين. وكان أول من جمع القصائد السّبع الطِّوَال

هو أبو القاسم حمّاد الراوية وسمّاها بالمعلقات. في ذلك الوقت زاد اهتمام النّاس بها وقاموا بشرحها. كانت القصيدة سهلة الحفظ لما تتمتع به من جرسٍ موسيقيٍّ وجمالٍ في المعنى... حيث كانت تبدأ بذكر الأطلال ودِيارِ الحبيبة، فيتغزّلُ بها وبمفَاتِنِها، ويستَفيضَ بسحرها، أو ينتقلُ للفخر بإنجازات قبيلته وشجاعة أبنائها في ردّ الغزاة عن الدّيار.

لماذا سميت بـ"المعلقات"

اختلف الأدباء في تعليل تسمية هذه القصائد بـ "المعقات"، فمنهم من قال بأنها اختيرت وعلقت بأستار الكعبة لتعظيمها، ومنهم من قال بأنها علقت وعدّت شيئًا نفيسًا فسمّيت بها؛ لأن الشعراء في الجاهلية كانوا يتبارون في سوق "عكاظ" أمام أحد فحول الشعر، فإذا استحسن الملك قصيدة قال: علقوها وأثبتوها في خزائني. لم تكن كلمة المعلقات وحدها هي التي أطلقت على تلك القصائد المشهورة فإن لها ألقاباً أخرى تدل عليها وإن كانت أقل من لقب المعلقات ذيوعاً ومن هذه الألقاب(السبع الطوال). ولها كذلك أسماء أخرى مثل السموط أو السمط والمشهورات والسبعيات والسبع الجاهليات وسبب تسمية هذه القصائد بالمعلقات وهو أشهرها يرجع السبب في ذلك عند أكثر الباحثين أنها علقت على الكعبة وقد ذهب إلى هذا الرأي ابن الكلبي (ت204هـ) وقال:(أول شعر علق في الجاهلية شعر امرئ القيس علق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم) وقال ابن عبدربه (ت328هـ) كان الشعر ديوان خاصة العرب والمنظوم من كلامها إلى أن قال أن العرب عمدت إلى سبع قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب وعلقتها في أستار الكعبة) ووفقه على ذلك ابن رشيق (ت 463هـ) وابن خلدون (808هـ) والبغدادي وغيرهم.

وقد أطلق الرواة والباحثون على هذه المجموعة من قصائد الشعر الجاهلي أسماء أخرى، إلا أنها أقل ذيوعاً وجرياناً على الألسنة من لفظ المعلقات، ومن هذه التسميات:

- السبع الطوال : وهي وصف لتلك القصائد بأظهر صفاتها، وهو الطول.
- السُّموط : تشبيهاً لها بالقلائد والعقود التي تعلّقها المرأة على جيدها للزينة.
- المذهّبات : لكتابتها بالذهب أو بمائه[1].

[1] الموسوعة العربية العالمية : 14/ 140 ، ط 2 –مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع بالرياض، الرياض السعودية، 1419، ص 14.

وقيل: علّقوها بالذّهن أي حفظوها عن ظهر قلب فسمّيت بها. ولكن الأكثر قد اختاروا القول الأول: أنها علقت بأستار الكعبة، وأول من علل بهذا هو ابن عبد ربه (328هـ) حيث قال: "وقد بلغ من كلف به (بالشعر) وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد ميزتها من الشعر القديم، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها بأستار الكعبة، فمنه يقال: مذهبة امرئ القيس، ومذهبة زهير، والمذهبات سبع، وقد يقال لها المعلقات ". فقد ذكر القدماء أنه قد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له "أنْ عمدت إلى سبع قصائد تخيّرتها من الشعر القديم ، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة، وعلقتها في أستار الكعبة" فمنه يقال: مذهبة امرئ القيس، ومذهبة زهير... وقد يقال لها المعلقات "[1]. وذكر ابن رشيق في "العمدة" قائلا:" كانت المعلقات تسمى "المذهبات"، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر، فكتبت في القباطي بماء الذهب، وعلقت على الكعبة فلذلك يقال "مذهبة فلان" إذا كانت أجود شعره . ذكر ذلك غير واحد من العلماء"[2] . ويضيف ابن عبد ربه بأن المعلقات مجموعةٌ من أروع قصائد شعراء الجاهلية، قيل في تسميتها بالمعلقات عدة آراءٍ منها أنهم انتقوها من شعر فحولهم، وذهَّبوها على الحرير، وناطوها بالكعبة تشريفًا لها، وتعظيمًا لمقامها، وقد بلغ من كلف العرب به – أي بالشعر – وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة، وعلقتها بأستار الكعبة. فمنه ما يقال له: "مذهبة امرئ القيس" و"مذهبة زهير". والمذهبات السبع، ويقال لها: المعلقات"[3].

وابن خلدون هو أيضا قائل بهذا، فقطع في قوله: "حتى انتهوا (أي العرب) إلى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت ابراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر، والنابغة الذيباني، وزهير بن أبي سلمى، وعنترة بن شداد، وطرفة بن العبد، وعلقمة بن عبدة، والأعشى، وغيرهم من أصحاب المعلقات السبع".

---

[1] ينظر: ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، ببيروت، لبنان، ط 7، 1988 ، ص 169.

[2] ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تح: محيي الدين عبد الحميد، 1934، ص 147.

[3] ينظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد 6: 118.

وأول من أنكر تعليقها بأستار الكعبة هو أبو جعفر النحاس النحوي(338هـ)، فلذلك هو يسميها بـ"القصائد السبع المشهورات"، ثم أفاض بعضٌ من المستشرقين في الكلام على هذا، وعلى رأسهم الألماني نولدكي (Noeldeke)، ثم تابعه بعض منا زهدا عن القدامة ورغبة في الجديد في كل شيء، حتى قال الدكتور شوقي ضيف: "أمّا ما يقال من أنّ المعلقات كانت مكتوبة ومعلّقة في الكعبة فمن باب الأساطير، وهو في الحقيقة ليس أكثر من تفسير فسّر به المتأخرون معنى كلمة "المعلقات" ... ولو أنّهم تنبّهوا إلى المعنى المراد بكلمة "المعلقات" ما لجأوا إلى هذا الخيال البعيد، ومعناها: المقلَّدات والمسمّطات، وكانوا يسمون فعلاً قصائدهم الطويلة الجيّدة بهذين الإسمين وما يشبههما".

فإنهم قد استنكروا أن تعلق بالكعبة المدونات والمكتوبات لما لها من الاحترام والقدسية، ولكنهم قد غضوا أبصارهم عن ما وقع في التاريخ من التعليقات على الكعبة، فقال محمد حسن الزيات:" تعليق الصحائف الخطيرة على الكعبة كان سنة في الجاهلية بقى أثرها في الإسلام، فمن ذلك تعليق قريش الصحيفة التي وكدوا فيها على أنفسهم مقاطعة هاشم ومطلب لحمايتهم رسول الله (ص) حين أجمع على الدعوة، وتعليق الرشيد عهده بالخلافة من بعده إلى ولديه الأمين فالمأمون، فلم لا يكون الأمر كذلك في هذه القصائد مع ما علمت من تأثير الشعر فيهم ومكانة الشعراء منهم؟

الأسماء المختلفة لـ "المعلقات" وقد سمى عدد من الرواة والباحثين هذه القصائد بأسماء مختلفة، إلّا أنّ لفظة "المعلّقات" هي الّتي جرت على لسان عامة الأدباء والباحثين، حتى أن ما سواها من أسماءها هي صارت تحتاج إلى التعارف بأنها هي "المعلقات"، فنذكر من بعض أسماء هذه القصائد الأشهر فالأشهر:

المعلقات: أول من ورد هذا الاسم في كتابه هو أبو زيد القرشي، فقسّم القرشي القصائد المختارة المسمّاة بـ"جمهرة أشعار العرب" إلى أقسام، وجعل لكل قسم درجة على حسب طبقات الشعراء، فالطبقة الأولى عنده هي كانت تختص بأصحاب المعلقات، ووجه تسمية هذه القصائد بـ"المعلقات" قد سبق على التفصيل.

السموط: سميت المعلقات بـ "السموط" بالنسبة إلى التشبيه بالقلائد والعقود التي تعلقها المرأة على صدرها للزينة.

المذهبات: قد يطلق على المعلقات "المذهبات"، لأن القصائد كانت كتبت بماء الذهب، ثم علقت بالكعبة.

السبع الطوال: أطلق عليها بـ "السبع الطوال" لأنها اشتملت على القصائد الطويلة، فسميت بأظهر صفاتها، وهو الطول.

القصائد السبع المشهورات: هذا الاسم سمّاها به ابو جعفر النحاس، لحكاية أن حماد الراوية جمع هذه القصائد للناس وقال: هذه المشهورات.

السبع الطوال الجاهليات: وهذه التسمية انفرد بها ابن الأنباري (328هـ)، وذكرها في شرحه لهذه القصائد.

القصائد السبع: هذه التسمية التي سمى بها أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزي في شرحه لهذه القصائد.

القصائد العشر: وهذه التسمية إمتاز بها التبريزي (502هـ)، فقد عنون شرحه لهذه القصائد بـ "شرح القصائد العشر".

ومن أسماءه أيضًا: المسمَّطات، والمقلَّدات، والبتّارات، والمألوف.

خصائص المعلقات

1. الطول: تميزت المعلقات بطولها، حيث تجاوزت بعض القصائد 100 بيت، مما منحها تفصيلًا دقيقًا للأحداث والأفكار.

2. جمال الأسلوب وقوة اللغة: استخدمت التشبيهات والاستعارات بكثرة، مما أعطى الصور الشعرية بعدًا جماليًا رائعًا. كانت الألفاظ قوية وجزلة، تعبر عن بيئة العرب الصحراوية.

3. تعدد الأغراض في القصيدة الواحدة: كانت المعلقات تبدأ غالبًا بالبكاء على الأطلال والغزل، ثم تنتقل إلى الوصف، الفخر، الحكمة، أو الهجاء.

4. تصوير البيئة الجاهلية: تضمنت وصفًا دقيقًا للصحراء، الإبل، الخيل، النجوم، الحروب، والعادات القبلية.

5. الالتزام بالوزن والقافية: التزمت ببحور الشعر العربي وفق علم العروض، وكان لكل معلقة بحر واحد وقافية موحدة.

أصحاب المعلقات

وقد اتفق كثير من جامعيها على سبعِ قصائد مطوَّلةٍ تعد خير معبر عن روح العصر الجاهلي والبيئة البدوية التي صورها شعراء تلك المعلقات خير تصوير في قصائدهم وهي:

- الأولى: لأمرئ القَيْسِ، وأولها:

قِفا نَبْكِ مِن ذِكرَى حبيبٍ ومنْزِلِ ********* بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فحَوْمَلِ

- أهم الموضوعات الرئيسية التي تناولتها:

الغزل، وصف الطبيعة والصيد.

- الثانية: لطَرَفةَ بنِ العَبْدِ، وأولها:

لِخَوْلةَ أَطلالٌ بِبَرْقةَ ثَهْمَدِ ********* ظَلِلْتُ بها أبْكِي وأبْكِي إلى الغَدِ

- أهم الموضوعات الرئيسية التي تناولتها:

الحكمة، الفخر، وصف الناقة.

- الثالثة: لزُهَيْرِ بن أبي سُلْمَى، وأولها:

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لمْ تَكَلَّمِ ********* بِحَوْمانةِ الدُّرَّاجِ فالمتَثَلَّمِ

- أهم الموضوعات الرئيسية التي تناولتها:

الحكمة، الدعوة للسلام، مدح الحروب العادلة.

- الرابعة: لِلَبيدِ بنِ رَبِيعَةَ، وأولها:

عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّها فمُقامُها ********* بِمِنًى تأبَّدَ غَوْلُهَا فرِجامُها

وصف الأطلال، الحكمة، الفخر بالنفس.

- أهم الموضوعات الرئيسية التي تناولتها:

- الخامسة: لعَمْرو بن كُلثُومٍ، وأولها:

أَلَا هُبِّي بصَحْنِكِ فَاصبَحِينا ********* ولَا تُبْقي خُمورَ الأَنْدَرِينا

- أهم الموضوعات الرئيسية التي تناولتها:

الفخر القبلي، القوة، العزة.

- السادسة: لعنْتَرَةَ بنِ شَدَّادٍ، وأولها:

هَلْ غادَرَ الشُّعَراءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ ********* أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ توَهُّمِ

- أهم الموضوعات الرئيسية التي تناولتها:

الغزل، الشجاعة، الفروسية.

- السابعة: للحارَثِ بنِ حِلِّزة اليَشْكُري، وأولها:

آذَنَتْنا بِبيْنِهَا أسْماءُ ********** رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ

- أهم الموضوعات الرئيسية التي تناولتها:

الفخر بالقبيلة، الدفاع عن الشرف القبلي.

وأَلحق بها البعض ثلاث معلَّقاتٍ أخرَى هي:

- معلقة (النابغة الذُّبياني) وأولها:

يَا دَارَ ميَّةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ ********* أَقْوَتْ وطال عليْها سَالِفُ الأَبَدِ

- أهم الموضوعات الرئيسية التي تناولتها:

الاعتذار، المدح، الحكمة.

- معلقة (الأعشى ميمون) وأولها:

وَدِّعْ هُريرةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلٌ ********* وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

- أهم الموضوعات الرئيسية التي تناولتها:

الغزل، الخمر، وصف الرحلات.

- معلقة (عَبيدَ بنِ الأَبْرَصِ) وأولها:

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ ********** فَالقُطْبِيَّاتُ فالذَّنُبُ

- أهم الموضوعات الرئيسية التي تناولتها:

الحكمة، تأمل الحياة.

ومهما يكن من أمر الخلاف في هذه القصائد وتعليقها على الكعبة وكتابتها فأنها تعد من عيون الشعر العربي نضجاً وفناً فهي:

- آية للفن الشعري عند عرب الجاهلية وأصحابها هم من المقدمين على غيرهم.
- إن القول بكتابة هذه القصائد وتعليقها على الكعبة أمر رواه الثقاة من النقاد.
- لم يشكك في تعليق هذه القصائد على الكعبة من القدماء إلا أبو جعفر النحاس.
- تثبت هذه القصائد أن العرب كانوا يعرفون الكتابة.

أهمية المعلقات

- توثيق حياة العرب قبل الإسلام. وتصور الحياة الجاهلية بصورة واضحة عن عادات وتقاليد العرب قبل الإسلام.
- تقدم المعلقات وصفًا دقيقًا لحياة العرب الجاهليين من حيث العادات، القيم، والحروب.
- مصدر ومستودع لغوي وأدبي مهم يعتمد عليها علماء اللغة والنحو لفهم أصول العربية الفصحى.
- تُعتبر المعلقات مرجعًا رئيسيًا للغة العربية الفصحى، حيث استخدمها النحويون وعلماء اللغة لفهم قواعد النحو والصرف. هذا وتعدّ قيمة أدبية باعتبارها نموذجًا للبلاغة والفصاحة التي بلغها العرب في الشعر.
- قيمة فنية عالية.
- تعد نموذجًا لأرقى الفنون الأدبية في الشعر العربي، وتعتبر من أفضل ما جاد به الشعراء الجاهليون. كما كان لها تأثير كبير على الأدب العربي وعلى الشعراء اللاحقين في العصور الإسلامية، حيث استلهموا منها الأساليب والتراكيب اللغوية.

تُعد المعلقات من أهم الكنوز الأدبية في التراث العربي وتُمثل قمّة الإبداع في الشعر الجاهلي، حيث تعكس بلاغة العرب جمعت بين البلاغة والفصاحة، ورصد لحياتهم، وقيمهم قبل الإسلام. وقد حافظ عليها العلماء والأدباء، مما جعلها مرجعًا رئيسيًا

في دراسة الشعر الجاهلي بفضل الرواية الشفوية ثم جهود العلماء في التدوين. فرغم مرور قرون على كتابتها، لا تزال المعلقات تُدرّس في الجامعات وتُحلل في الأبحاث الأدبية، لما تحمله من جمال فني وقيمة تاريخية عظيمة.

المحاضرة السابعة

شعر الصعاليك:

لا بد من الوقوف عند ظاهرة شعرية جاهلية متميزة أصيلة واضحة المعالم هي الصعلكة . فما عوامل ظهورها وما صفات الصعاليك وما شعر الصعلكة وغاياته وخصائصه؟ وما الجديد الذي تحقق شعريا على أيدي الصعاليك؟

الصعلوك الفقير الذي لا مال له، و"صعلكه أضمره وأدقّ [1]، ويقال أيضا" الصعاليك هم المجرمون والطائشون الذين خلعتهم قبائلهم (الخلعاء). الخليع سمي به لأنه خلعته عشيرته، وتبرؤوا منه، أو لأنه خلع رسنه. ويقال: خلع من الدين والحياء" [2] لكن نُسب التشرد وقطع الطريق للفقير فصارت الصعلكة تعني قطع الطريق، كما كان ارتباط الشعر بمجموعة من الشعراء الذين أبعدوا عن قبائلهم فراحوا يغيرون على قوافل الأغنياء ثم يقسمون ما يحصلون فاتصفوا في الفكر الحديث بالثورية لرفضهم واقعا اجتماعيا قبليا ساده كثير من الظلم . لكن صفة الأنفة والعزة وما إليها من الإباء والكرم والشجاعة، كل هذه الصفات تجسد مدى وفائهم لتلك القبائل التي وهبتهم ملكة الثورة عليها وبذلك فهم منتمون منشقون في الوقت نفسه[3]. والصعلكة تعني ايضاً التجرّد من الشيء، ليس في الإنسان فقط، بل حتى في الحيوان، يقال تصعلكت الإبل، إذا تجرّدت من أوبارها وبدت عليها آثار

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ص 2452،2451.

[2] محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ، ج18 ، دار الهداية، الكويت، 2001، ص 92.

[3]– إنعام الجندي , دراسات في الأدب العربي، ط 2, ص12.

الضمور والهزال في السنام ، وكذلك يقال تصعلكت الخيل ،إذا أصاب جلدها التقرّع بسبب كثرة الركوب والإرهاق واحتكاك الأقدام على جوانبها[1] .

والصعاليك نماذج متباينة منهم الخامل الحقير الذي رضي التسول والهوان ولم يمض في عالم المغامرة، ومنهم النشط المنشق عن أعراف القبيلة مختارا الفتك والغصب وسيلة لاسترداد حقه المادي والمعنوي. وقد قيل أيضا" وقد عُرف الصعاليك بالذؤبان وب "ذؤبان العرب" ونقرأ في تاج العروس "ذؤبان العرب لصوصهم وصعاليكهم الذين يتلصصون ويتصعلكون، لانهم كالذئاب "[2].

فالصعلوك في اللغة هو الفقير الذي لا يملك من المال ما يعينه على أعباء الحياة، ولم تقف هذه اللفظة في الجاهلية عند دلالتها اللغوية الخالصة، فقد أخذت تدل على من يتجردون للغارات وقطع الطرق، ويمكن أن نميز فيهم ثلاثة مجموعات:

1- مجموعة من الخلعاء الشذاذ الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائرهم مثل: حاجز الأزدي، وقيس بن الحدادية، وأبي الطحان القيني.

2- مجموعة من أبناء الحبشيات السود، ممن نبذهم أباؤهم ولم يلحقوهم بهم لعار ولادتهم مثل: السليك بن السلكة، وتأبط شراً، والشنفرى، وكانوا يشركون أمهاتهم في سوادهم، فسموهم وأضرابهم باسم أغربة العرب.

3- ومجموعة ثالثة لم تكن من الخلعاء، ولا من أبناء الإماء الحبشيات، غير أنها احترفت الصعلكة احترافا، قد تكون أفرادا مثر عروة بن الورد العبسي، وقد تكون قبيلة برمتها مثل قبيلتي هذيل وفهم، اللتين كانتا تنزلان بالقرب من مكة والطائف.

من هنا- هذا التقسيم- أصبح الصعاليك حاقدين على ابناء الطبقة المترفة، متمرّدين على مجتمعهم الظالم لهم، فخلق لديهم ذلك عقداً نفسية، تركتها المعاملة السيئة تجاههم ونبذهم من أقرب الناس لهم، فقابلوهم بالتمرّد والسلب والنهب والقتل بوصفها ردود أفعال مناسبة تجاه القبائل التي خلعتهم.

---

[1] يُنظر: عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، 1987م:17.

[2] محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج1، ص 248.

ويرى الدكتور يوسف خليف أن الصعلكة قد يخرج مفهومها أحيانا عن أصل معناها اللغوي، فهذا عمرو بن براقة الهمداني يغير على إبله وخيله رجل من مراد فيذهب بها، فيأتي عمرو إلى إحدى كاهنات العرب يستشيرها، ثم يغير على المرادي فيستاق كل شيء له، ويقول:

تقول سليمى: لا تعرض لتلفة ... وليلك عن ليل الصعاليك نائم

وكيف ينام من جل مالـــــه ... حسام كلون الملح أبيض صارم

ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم ... قـــليل إذا نام الخلي المسالم

إن جو القصة وسياق الأبيات لا يدلان هنا على أن الصعاليك هم الفقراء المعدمون الذين لا يملكون ما يسدون به رمقهم، وإنما هم أولئك المشاغبون المغيرون الذين يقضون لياليهم في السلب والنهب والإغارة، فمصطلح الصعلكة قد خرج من دائرة الفقر إلى جائرة الغزو والإغارة للسلب والنهب.

كان الصعاليك في الجاهلية يعانون مرارة الجوع والحرمان، فمن يرجع إلى أحاديث الصعاليك في الجاهلية يجدها حافلة بالحديث عن فقرهم، فكل الصعاليك فقراء حتى عروة بن الورد سيد الصعاليك الذي كانوا يلجأون إليه كلما قست عليهم الحياة، كان صعلوكا فقيرا حسب ما يذكره الرواة، فتكر في أشعاره أحاديث الفقر وما يعانيه من جهد ومشقة، وما يشعر به من ثقل التبعة التي يتحملها إزاء أهله، وإزاء أصحابه الصعاليك:

ذريـنـــــي للغنى أسعى فإني ... رأيت الناس شرهم الفقير

فسر في بلاد الله والتمس الغنى ... تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا ... من المال يطرح نفسه كل مطرح

وأطلق الدكتور يوسف خليف على هذه الظاهرة بـ " ظاهرة ظاهرة التحلّل من الشخصية القبلية"، فلم يعدّ الشاعر الصعلوك لسان قبيلته المعبّر عن معاناتها، الصادح بأمجادها، بل أصبح همّه تصوير معاناته الفردية بشكل خاص ومعاناة رفاقه الصعاليك بشكل عام ؛ لأننا نعلم أن الجاهلي اجتماعي بطبعه ولا يستطيع الانفصال عن الجماعة . فأضحى هَمّ الصعلوك إقامة مجتمع جديد يقوم على المساواة والتكافل الاجتماعي بغضّ

النظر عن الانتماء القبلي والطبقي فلا فروق تذكر بين أفراد الجماعة الصعلوكية، وعلى الرغم من فقرهم وجوعهم إلا أننا لم نعثر بينهم على خادم أوراعٍ وهذا ما يدلّ على رفضهم تماماً لفكرة العبودية التي تشجع على تأكيد الفوارق الطبقية بين أبناء المجتمع الواحد، وهو ما يخالف نظرتهم في إقامة مجتمع متساوٍ في الوجود الإنساني، فلا وجود لمفردتي السّيد والخادم في قاموس الصعاليك، فوجدوا في السلب حقاً مشروعاً لهم من أجل العيش بكرامة بعيداً عن الذلّ وإستعباد الأغنياء. وراح الصعاليك يفخرون بجوعهم وفقرهم؛ لكونه بديلاً لديهم عن حياة الذلّ والخضوع ، فكانت حياة الرعاة الخاضعة، الراضية بواقعها الظالم في نظرهم[1].

عوامل ظهور الصعلكة في العصر الجاهلي:

اجتمعت في الحياة الجاهلية عوامل عديدة كانت سببا في ظهور ظاهرة الصعلكة أبرزها:

1- طبيعة الأرض:

شبه الجزيرة العربية هيأت لانتشار هذه الظاهرة لما تميزت به من ارتفاع في الحر وشح في المطر وندرة في الخيرات بمناطق ووفرة في الخيرات والمياه في أخرى مما دفع بعض الفقراء إلى الإغارة.

2-طبيعة المجتمع والظلم الاجتماعي:

مثل المجتمع الجاهلي بأساليبه المتنوعة حرمان بعض الأفراد من حقوقهم أو طردهم من قبائلهم.فكان كثيرا ما يعاقب الأفراد عن حق أو غير حق بالنفي والخلع والطرد أو الاحتقار بسبب اللون أو اضطراب النسب . قال عروة بن الورد:

هم عيروني أن أمي غريبة وهل في كريم ماجد ما يعير[2]؟

ولم ينج حسان بن ثابت أيام الجاهلية من مثل هذا الهجاء الذي رماه به أمية بن خلف الخزاعي ذاكرا يمانيته واشتغال أبيه في الحدادة:

ألا من مبلغ حسان عنّي مغَلْغلَةٌ تدب إلى عكاظ

أليس أبوك قينا كان فينا لدى الْقَينَات فَسلا في الْحفَاظ

---

[1] ينظر: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف . القاهرة ، ط 3، 1978، ص 276.

[2] -بوجمعة بوبعيو، جدلية القيم في الشعر الجاهلي، ص77.

يمانَياً يظلُّ يشد كيرا وينْضَح دائِباً لهب الشّواظ[1]

وهو في موقفه هذا يختلف عن عنترة القائل:

إني امرؤ من خير عبس منصبا شطري وأحمي سائري بالمنصل

فعنترة يقر بما تراه القبيلة من نقص في أمه حين يقول " شطري " أي نصفي ويقصد به شرف الأب، ويعوض النصف الآخر بشجاعته. أما عروة فلا يقر بذلك بل ينفي كل ما يعير به فهو كريم ماجد وصفاته الفردية تحقق كل ما يجب له من التوقير الكامل.

وقد كان أمام المطرود والمحتقر طريقان لا ثالث لهما : إما الولاء والاحتماء بقوم وإما السعي في شعاب الصحراء ليتحولوا إلى قُطاع طرق بسبب ثأر شخصي أو قبلي، فالبحث عن الحرية هو التزام العربي بتقاليد عزة نفسه التي لا يرضى بالولاء لما فيه من إذلال.

3-التمييز الطبقي:

انقسام المجتمع القبلي إلى سادة أغنياء وفقراء وعبيد حيث كان هناك تفاوت كبير بين الأغنياء والفقراء في القبائل حرض المتضررين على نبذ المجتمع واختيار التمرد على الأعراف والقيم البالية فكان الصعاليك يمارسون نوعا من الانتقام ضد الظلم الذي أصابهم فكانوا يتخيرون الأماكن التي يقيم بها الناس والطرق التي تسلكها قوافل التجار فينقضون عليها ثم يرتدون بما غنموا إلى الشعاب الوعرة والقمم المنيعة.

صفات الصعاليك:

عرف الصعاليك بصفات اكتسبوها في الغالب من طبيعة حياتهم وما تميزت به من مصاعب، كروح المغامرة والذكاء والشجاعة وقوة الفتك والروح الجماعية والإيثار وشدة كره قبائلهم وأعرافها والصبر واعتمادهم على أنفسهم وقوة نشاطهم وكل صفات الفارس النبيل.

كان الشعراء الصعاليك المتمردون، يجاهرون بعدائهم للقبائل، فقد أظهروا يأسهم من تلك الحياة القبلية، وما تميزت به من عادات رتيبة ومملة فأعلنوا نفورهم منها ورفضهم لها، والثورة على القيم الاجتماعية، وعدم انسجامهم مع القبيلة، وخلق نظام جديد بعيد عن النظام القبلي. إلا أنه ظهر عجزهم في إظهار الانتماء الجديد من خلال فقدان الأمن

[1]- علي الشعيبي، الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، ص89، 90.

والطمأنينة، فالصعلوك يعيش اللاأمن وللاستقرار، فهو دائم الخوف والهروب، فيلجأون إلى الجبال المترامية الأطراف.

ولعل أبرز صفة لديهم هي ذلك التناقض في أخلاقهم فمنهم الفاتك بغير رحمة ومنهم من يقطر قلبه إنسانية ويقنع بالماء إيثارا لغيره، كما قال عروة ابن الورد مخاطبا الثري السمين:

وإني امرؤ عافي إنائي شركة وأنت امرؤ عافي إنائك واحد

أتهزأ مني أن سمنت وأن ترى بجسمي شحوب الحق والحق جاهد

أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد[1]

ففي هذا القول إعلان عن قيم جديدة تقوم على التضامن والمساواة والإيثار بدل الظلم الاحتقار والأثرة.

ويقول آخر واصفا مدى استئناس الصعاليك بوفادته إلى درجة جعلت كلابهم تعرف كل شيء فيه حتى الثياب مما يوحي بمحافظة هذه الجماعة على كم من القيم العربية النبيلة ومنها الكرم:

وقد عرفت كلابهم ثيابي كأني منهم ونسيت أهلي

وبذلك تسمو القيمة الإنسانية لديهم فتقوم الصلة بالكلب لتختفي المعاني السلبية التي التصقت بذكره، والصلة المعقودة بالكلب هي في جوهرها تعويض واضح للصلة الفاشلة التي حالت دون قيامها المظالم ثم الشعور بهذه المظالم وهذا الشعور المصحوب برد الفعل المضاد هما الأهم في حياة الصعاليك.

ولم يقف الأمر في الاستئناس عند هذا الحد المعقول لكون الكلاب أليفة لكن الصعلوك يعقد صلة وثيقة بالحيوان المفترس:

يبيت بمغنى الوحش حتى ألفنه ويصبح لا يحمي لها الدهر مربعا[2]

وفي ذلك الاستئناس بالوحش إدانة واضحة للقبائل التي هجروها، لأنها بهذا الاستئناس المعلن تضمر احتقارا وترميهم بالوحشية.

---

[1] – أبو تمام، الحماسة, برواية منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي. 540 هـ , دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص340.

[2] – جابر عصفور، غواية التراث، كتاب الهلال، ص102.

ويمكن جمع بعض الصفات للصعاليك في الآتي:

- حاقد الصعاليك على مجتمعهم، متمردون عليه... لا يبالون من شيء ولو كان ذلك سلباً ونهباً وقتل أبناء قبيلتهم وعشيرتهم، لأنهم خلعوا منها...وكل ما تقع أعينهم عليه، هو مفيد لهم نافع، ومن حقهم بحكم فقرهم انتزاعه من مالكه، وإن كان مالكه فقيراً معدماً مثلهم، ويرون الخلاص من هذا الذل بالحصول على المال بالقنا وبالسيف.
- حقهم في سلب الاخرين بسبب بخلهم وأن السبي مدفوع لهم من الله.

موضوعات شعر الصعلكة:

تميز شعر الصعاليك في العصر الجاهلي عن غيره من أنواع الشعر بتركيزه على قضايا مختلفة تعكس حياة التمرد، والحرية، والصراع مع الظلم الاجتماعي. فقد كان الصعاليك يعيشون على هامش المجتمع، ويعبّرون في شعرهم عن تجاربهم الشخصية ومعاناتهم مع الفقر والتهميش. وفيما يلي أبرز الموضوعات التي تناولها شعرهم:

1-حكايات المغامرة والمفاخرة والغزل والمشاعر:

تميز الصعاليك بالشجاعة والأقدام فقد كانوا يبحثون عن رزقهم في الليل الحالك وفي البرد الشديد والحر المهلك وفي المغاور الغامضة وبين حيواناتها من ضباع وأسود وثعالب وأفاعي وليس لهم مال إلا سيوفهم ورماحهم يتنقلون بها في الجبال الوعرة والمناطقة الغامضة ليبحثوا في رزقهم .

ورغم ذلك كله فإن هؤلاء لم ينسوا أطفالهم من الذين لم يجدوا لهم موتا فقد كانوا برغم ما كانوا فيه من جوع يحرمون أنفسهم الطعام لكي يطعموا أقربائهم من الفقراء الذين ليس لهم قوة ينالوا بها طعاماً أو رزقاً، هذا واهتم الشعراء الصعاليك بتصوير مشاعرهم فعبروا عن وفائهم لصحبهم بعد أن شكلوا مع بعض أسرة أغنتهم عن قبائلهم وأهليهم. وهم معتزون بانتمائهم الجديد الذي شكلوا وعيه واختاروه كما يظهر ذلك في مفاخرهم ورثائهم. يقول تأبط شرا في مصرع أحد أصحابه وقد زهد في كل غنيمة لشدة الحسرة:

أبعد قتيل العوص آسى على فتى وصاحبه أو يأمل الزاد طارق؟

عبّر الصعاليك عن شجاعتهم في مواجهة الأخطار سواء في الغزوات أو أثناء الترحال في الصحاري القاسية. وصفوا تفاصيل مغامراتهم في البراري مع الحيوانات المفترسة واللصوص. ومادامت حياة الصعاليك قد اتخذت شعارها "الغزو والإغارة للسلب والنهب" فليس غريبا أن أكبر ما يعنى به شعراؤهم أحاديث مغامراتهم، لأن هذه المغامرات هي الحرفة التي قامت عليها حياتهم.

في شعر الصعاليك موضوعات لم تكن مألوفة في كثير من شعر الجاهليين منها حكايات المغامرة التي وصلت حدا من الخيال جعل تأبط شرا يصور مغالبته للغول قائلا:

ألا من مبلغ فتيان" فهم " بما لقيت عند رحى بطان

بأني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان

فقلت لها كلانا نضو أين أخو سفر فخلي لي مكاني

فشدت شدة نحوي فأهوي لها كفي بمصقول يماني

فأضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران

ويقول عارضا فروسيته وشجاعته:

وأدهم قد جبت جلبابه كما اجتابت الكاعب الخيلا

آلى أن حدا الصبح أثناءه ومزق جلبابه الأليلا

على شيم نار تنورتها فبت لها مدبرا مقبلا

فأصبحت والغول لي جارة فيا جارتا أنت ما أهولا

وطابتها بضعها فالتوت بوجه تهول فاستغولا

فقلت لها يا انظري كي ترى فولت فكنت لها أغولا

وهو يجسد صراحة قلب الأعراف الجاهلية حتى في أسلوبه إذ أنه يدعو قومه في الشطر إلى تجهيز أرحلهم ليعلن في الشطر الثاني أنه سيهجرهم إلى قوم آخرين. وفي قصيدة أخرى له يقول عن غارة قام بها الصعاليك:

خرجنا ولم نعهد وقلت وصاتنا ثمانية ما بعدها متعتب

سراحين فتيان كأن وجوههم مصابيح أو لون من الماء مذهب

إذا كانت سمة" الجماعية "هي الغالبة في شعر غير الصعاليك، فإن مفاخر الصعاليك تتميز بفرديتها، فلم يكن الفخر في شعر الصعاليك متعلقًا بالقبيلة كما هو الحال في الشعر الجاهلي التقليدي، بل كان فخرًا فرديًا يبرز شجاعة الشاعر وقوته. تفاخروا بقدرتهم على مواجهة المصاعب دون الحاجة لدعم القبيلة، مما جعل الضمير "أنا " يحضر بكم مكثف في أشعارهم . لكن هذه الفردية نفسها تحمل سمة الجماعة جماعة الصعاليك لاشتراكهم في الصفات التي يفخر بها كل شاعر، وإن كان ذلك لا يعدم المفخرة الشخصية، يقول الشنفرى في مستهل لاميته:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم إليكم لأميل

هو استهلال فيه قلب للغة، ذلك أنه يطلب من قومه إعداد مطاياهم ثم يخبرهم بأنّه راحل عنهم . وهو إذ يبعثر المعطيات ويقلب المفاهيم يمهد لقلب مجموعة من القيم الأخرى، ذلك أنه يتدرج في التنديد بالقبيلة بدءا من توكيد إنسانية الحيوان الأليف وانتهاء بالحيوان المتوحش، كاسرا المقولة التي ترى وحدة الجنس أساسا للتآلف .

ومن الواضح أن الشاعر قد أعلن عن رفضه للقبيلة وقيمها ولإنسانيتها حين وصف الذئب والنمر والضبع وصفا إنسانيا ليوحي بلاإنسانية" أهليه:"

هم الأهل لا مستودع السر ذائع لديهم، ولا الجاني بما جر يخذل

وكلّ أبي باسلٌ غير أنّني إذا عرضت أولى الطرائد أبسل

وهذا التنديد من الشاعر واضح بدءا من رفضه في البيت الأول للتقليد الفني الجاهلي المتمثل في كسر عمود الطلل وهجر التصريع.

وتؤيد رؤيته الفنية التي يعلن عنها في بيته الأول إعلانه عن هجر أرض الظلم، وكما أن في الإبداع سعة تنأى به عن التقليد فإن في الأرض سعة تنأى به عن ظالميه:

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزل

لعمرك ما في الأرض ضيق على امرئ سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل

فالشاعر يشترط الرؤية في هذا الهجر" وهو يعقل "كما اشترط" الرهبة "وهي هنا ليست خوف المواجهة بل خوف البقاء في حياة الذل، وهنا يمكن أن يكون" الخوف من الذل "هو

الشجاعة التي تدفع الصعلوك إلى اختيار باب المواجهة المباشرة، وهو مما يعزز البعد الإنساني لهذا الانسلاخ عن القبيلة. ذلك البعد الذي يتجلى في مجموعة من القيم تعلن عنها القصيدة في نص أشبه ما يكون بنشيد أو بيان أو ميثاق عام.

ولم يكن الغزل عند الصعاليك موضوعًا رئيسيًا بقدر ما كانت الحياة تفرض شتاتها عليهم، لكنه ظهر في بعض قصائدهم حيث عبّروا عن حبهم للمرأة بطرق تختلف عن الشعراء التقليديين.

وقد تميزت المطالع والافتتاحيات عند الصعاليك بذلك الحوار بين الشاعر والحبيبة أو الزوجة– وفي كثير من الأحيان ما يكون الغزل عندهم بسيطًا وغير متكلف، ويعبّر عن مشاعر حقيقية بعيدًا عن المبالغة. –التي تحاول استبقاء الزوج قريبا منها خوفا عليه من خطر السفر والمغامرة لكن الصعلوك يصر على المضي محاربا إصرارا فيه قسوة على نفسه وعلى أحب الناس إليه، التزاما من شاعر أحس بالواجب، ومن هنا تظهر سمة " شعر القضية " التي عايشها الصعلوك ومارسها وصورها في شعره .يقول تأبط شرا:

ستقول سليمى لجاراتها أرى ثابتا يفنًا حوقلا

لها الويل ما وجدتْ ثابتا ألف اليدين ولا زملا[1]

فهو يبلغ زوجته بأن عزمه على السفر واستعداده له إنما هو نابع من شجاعته ومقاومته ضد الوضع المهين الذي كان يحياه.

2–الفرار والتمرد على القيم الاجتماعية:

تميز شعر الصعاليك بالثورة على المجتمع والعزة والإباء، ورفض الظلم والذل والحرية في تحديد علاقتهم بمجتمعهم ما دام هذا المجتمع يريد أن يفرض عليهم عبوديته، وبروح التمرد على القوانين القبلية والعادات الظالمة. وانتقدوا الظلم الاجتماعي والتمييز الطبقي بين الأغنياء والفقراء. هذا التمرد جعلهم يشعرون بالفخر بأنهم يعيشون حياة حرة ومستقلة. تحدث الصعاليك كثيرًا عن معاناتهم مع الفقر والجوع، مما يعكس واقعهم القاسي.

[1]– ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 197، 198.

لم يشعروا بالخجل من فقرهم، بل أظهروه بفخر كجزء من هويتهم المتمردة. وإذا كان الفرار من الصفات الممقوتة في عرف العرب فإنه مفخرة في عرف جديد عاش عليه الصعاليك. لأن مغامراتهم كانت تحتم عليهم الفرار ولأنهم كانوا يريدون قلب الأعراف التي وجدوا عليها قومهم. يقول تأبط شرا:

لا شيء أسرع مني ليس ذا عذر وذا جناح بجنب الريد خفاق

حتى نجوت ولما ينزعوا سلبي بواله من قبيض الشد غيداق

ولعل حاجز الأزدي أكثر الصعاليك مباهاة بالفرار لقوله:

ألا هل أتى ذات الخواتم فرَّتي عشية بين الجرف والبحر من بعر

عشية كادت عامر يقتلونني لدى طرف السلماء راغية البكر

3- وصف الخيل والسلاح والمراقب:

عبّر الصعاليك عن شجاعتهم في مواجهة الأخطار سواء في الغزوات أو أثناء الترحال في الصحاري القاسية. ووصفوا تفاصيل مغامراتهم في البراري مع الحيوانات المفترسة واللصوص. كما تحدث الشعراء الصعاليك عن التربص والترصد، تحدثوا عن التوعد والتهديد، وأكثر من يتوعدهم الشنفرى بنو سلامان، والذين كانوا السبب المباشر لتصعلكه، والذي عاهد نفسه بأن يقتل مئة منهم بما اعتبدوه، وهو يتوعدهم في شعره توعدا عنيفا، وكل ما يتمناه أن يمد الله في عمره حتى يشفي غليله منهم، حين يلاقيهم في عقر دارهم.[1] ولأن مغامراتهم مليئة بالتربص بالأعداء، وترصدهم لضحاياهم، وارتقابهم الفرصة الملائمة لمهاجمتهم فوق المرتفعات العالية التي يشرفون منها على الطريق، بحيث يرون الناس ولا يرونهم، والتي كانوا يسمونها (المراقب).

كما تحدثوا عن أسلحتهم، والتي يعتبرونها القوة الثالثة التي يعتمدون عليها في مغامراتهم، إلى جانب قوة قلوبهم، وقوة أرجلهم، وهذه القوى يجمعها تأبط شرا في رثائه للشنفرى حيث يقول:

فلا يبعدَنَّ الشنفرَى وسلاحه ألـــ ـــحديدُ وشدٌّ خطوُه متواترُ

[1] -يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، ص189.

لوصف الخيل مكان في شعر الصعاليك رغم اعتمادهم المشي والجري في إغاراتهم وفرارهم كثيرا. يقول تأبط شرا راثيا الشنفرى:

يفرج عنه غمة الروع عزمه وصفراء مرنان وأبيض باتر

وأشقر غيداق الجراء كأنه عقاب تدلى بين نيقين كاسر

أبرز السمات الفنية في شعر الصعلكة:

1-الوحدة الموضوعية:

المتأمل لشعر الصعاليك يجد أن الوحدة الموضوعية متجلية في مقطوعاته وأكثر قصائده، وهي ظاهرة لم تعرفها قصائد العصر الجاهلي، التي كانت فيه القصيدة غالبًا متعددة الأغراض، حيث يبدأ الشاعر بوصف الأطلال ثم ينتقل إلى الغزل أو الفخر أو الحكمة. أما شعر الصعاليك، فتميّز في كثير من الأحيان بوحدة موضوعية قوية، حيث تتركز القصيدة حول فكرة واحدة تعبر عن تجربة الصعلوك وحياته. وقد ساعد النفس القصير على تحقيق التركيز ووحدة الغرض وهما من سمات الشعر القوية مما جعل القصائد الصعلكة تتخصص في وصف مغامرات الصعاليك وأحزانهم ومفاخرهم. وقد تميز شعر الصعاليك بوجود وحدة عضوية بين الأبيات، إذ تدور معظم القصائد حول:

- الفخر الفردي والبطولة الشخصية.
- رفض القيم الاجتماعية الظالمة.
- وصف الطبيعة والحياة اليومية.
- رصد وتأمل في الحياة والمشاعر.

2-استخدام الحوار والسرد القصصي والحكمة:

احتوى شعر الصعاليك على قصص وأحداث من حياتهم اليومية، مما جعل شعرهم قريبًا من السرد الأدبي. تضمن الكثير من الخصائص الحكائية المتصلة بسرد مغامراتهم وفتكهم والفرار إلى محاورة قبل السفر ووصف للإغارة والسلاح لكن كل ذلك لا يدل على أن الصعاليك كتبوا قصصا شعرية بل يؤكد أنهم قدموا للقصة الشعرية طائفة هامة من عناصرها بسيطة مؤهلة للتطور، وقد كان ذلك طبيعيا لأن حالة الاضطراب وعدم

الاستقرار هي التي أنتجت هذا الشعر. ونجد في بعض القصائد حوارًا بين الشاعر والطبيعة أو الشاعر وأعدائه. مثال من تأبط شرًا حيث يصور حواره مع الموت:

إذا الموت لم يفنِ الشبابَ ولم يَكنْ له بُدٌّ، فالموتُ أولى وأكرمُ

هنا يخاطب الموت بشجاعة، ويبرز فلسفته الخاصة بالحياة. لم يكن شعر الصعاليك مجرد سرد لمغامراتهم، بل احتوى على حكم عميقة عن الفقر، الحياة، والقدر. اعتبر بعض الصعاليك مثل عروة بن الورد شعرهم رسالة اجتماعية، حيث دافعوا عن الفقراء وانتقدوا الأغنياء.

مثال من عروة بن الورد:

ذريني للغنى أسعى فإني رأيتُ الناسَ شرُّهمُ الفقيرُ

هنا يؤكد أن الفقر يجعل الإنسان ضعيفًا في نظر المجتمع.

3- السخرية والتهكم:

استخدم الصعاليك في قصائدهم تقنية السخرية والتهكم لنقد المجتمع والأغنياء المتكبرين. كان التهكم يظهر في وصفهم لحياتهم أو في ردودهم على أعدائهم. مثال من السليك بن السلكة حيث يسخر من الأغنياء:

أسائلُ نفسي حينَ أنظرُ فيهمُ لمَ النقصُ فيهم والغِنى قد علاهمُ؟

يستهزئ هنا بفكرة أن المال لا يمنح صاحبه الشجاعة أو الكرامة. وقد ظهر هذا الطابع الساخر في شعرهم، حيث سخروا من أصحاب المال والجاه الذين يرونهم ضعفاء في مواجهة الحياة القاسية. في أشعارهم، اعتبروا أن الشجاعة والعمل الجاد أهم من المال والنسب. وتميز شعر الصعاليك بكونه وليد الطبع والسرعة كما كانت غايته محاورة الذات لا الآخرين مما يعني غياب الخطابية والمتلقي، كما كان شعرهم وليد الانفعال السريع فكان ذلك سببا في إنشاء شعر لا أهمية فيه لإطالة النظر والإتقان والتجويد فغدا الشاعر معبرا عن قضية وفكرة مما تسبب في وجود شيء من الغريب.

4- وضوح اللغة وسهولة الألفاظ:

استخدم الصعاليك لغة بسيطة وواضحة بعيدة عن التكلف والغرابة. كانت ألفاظهم قوية، تعكس طبيعة حياتهم الخشنة والصعبة. اعتمدوا فيه على ألفاظ مستمدة من حياتهم اليومية، الصحاري، الحيوانات، والغزوات تعكس صلابة شخصياتهم وواقعهم العنيف. وبالرغم من بساطة الألفاظ، كانت قصائدهم قوية في معانيها وصورها الشعرية.

5- الموسيقى الشعرية القوية:

التزم الصعاليك بالوزن والقافية، مما جعل شعرهم موسيقيًا وجذابًا. استخدموا فيه بحورًا شعرية قوية سريعة ومتحركة مثل الطويل، الكامل، البسيط، لتعكس أسلوب حياتهم القائم على التنقل والحركة السريعة، يساعد هذا الإيقاع في جعل شعرهم سهل الحفظ والترديد بين الناس وليعكس شدة وقوة مشاعرهم. رغم عدم اهتمامهم بالزخرفة اللفظية.

استخدم الصعاليك بحورًا

6-الواقعية والتصوير الحسي:

يعكس شعر الصعلكة الواقع المعيشي القاسي، حيث تحدّثوا عن الجوع، العطش، الحروب، والمغامرات دون مبالغة أو تجميل. لم يلجؤوا إلى الزخرفة اللفظية، بل كانت معانيهم مباشرة وصادقة. والمثال ذلك أن ترك القبيلة دفع إلى البحث عن عالم جديد وقيم مختلفة مضادة لكثير من قيم القبيلة التي ظلمتهم فصاروا يعيشون حياة جماعية ابتكروها معتمدين الإغارة والمغامرة ويختارون قمم الجبال ومغاراتها وكهوفها الخطرة مسكنا ويصاحبون الوحش ويفخرون بالفرار والخوف استجابة لحب البقاء غريزتهم الإنسانية، واعتمدوا على التصوير الدقيق لمشاهد الصحراء، المطاردة، والجوع. باستخدام الطبيعة كخلفية لأحداثهم اليومية، فبرزت في شعرهم صور الليل، الحيوانات المفترسة، والجبال.

مثال ذلك ما جاء في قول تأبط شرًا:

إذا المرءُ لم يتركْ طعامًا يحبهُ ولم يَنْأ عن دارِ الهوانِ فقد بُلي

يعكس الشاعر حالته القاسية، ويوظف التصوير الواقعي ليعبّر عن الحياة الصعبة. وقلبا للمفاهيم القبلية التي تمردوا عليها. وتتمة لهذا الاختيار الاجتماعي المغاير أوجدوا صوتا

شعريا مغايرا يجسد هذا البحث المضني عن عالم متكامل اجتماعي ثقافي فني فهجر الطلل شعرهم واعتمدوا لغة شبه مباشرة أفرزها الطبع والمعيش.

يعد شعر الصعاليك ظاهرة أدبية فريدة في العصر الجاهلي، حيث جمع بين القوة والوضوح، التصوير الحسي، الموسيقى القوية، الفخر الفردي، والسخرية. وقد انعكست حياة الصعاليك الصعبة في شعرهم، مما جعله صادقًا ومعبرًا عن قضايا الفقر والظلم الاجتماعي والتمرد على القيود القبلية. ولا يزال هذا الشعر يحتفظ بجاذبيته حتى اليوم، لما فيه من روح المغامرة والحرية.

المحاضرة الثامنة

يبدأ العصر الإسلامي ببعثة النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وينتهي بانتهاء الخلفاء الراشدين سنة 41 هـ وهو تاريخ اعلان قيام الدولة الأموية لتولي الخليفة معاوية بن أبي سفيان الحكم. ولعل ما جاء به العصر من تحولات واختلافات في الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية كانت له التأثير الكبير على الحياة الفكرية والأدبية وهذا ما سنبحث عنه في هذه المحاضرة لنحصر المفاهيم ونبحث عن جملة من التصورات في ذلك العصر.

النص النثري في صدر الإسلام:

لقد كانت عناية العرب بالشعر أكثر من عنايتهم بالنثر إذ أن الشعر هو سجل حياتهم وهو ديوان العرب في كل شيء، فلما جاء الإسلام بقرآنه الكريم والحديث ازدهر دولة النثر ازدهاراً قوياً لأن ميدان الشعر لا يمكن أن يقف في كل الميادين، وبظهور الإسلام وما جاء به من تعاليم وأسلوب بلاغي متميز أصبح الحاجة إلى فنون جديدة أمرا ضروريا لا بد منه. إذ يعد النثر من أبرز الفنون الأدبية وأهمها التي ظهرت عبر العصور، وانتشر في العصر الجاهلي ثم تعاقب عبر العصور وذلك لحاجة الناس إليه. مع ظهور الإسلام، تغيّرت موضوعات الأدب لتتوافق مع التعاليم الإسلامية. أصبح الأدب وسيلة لنشر الدعوة والدفاع عنها، مما أدى إلى تراجع بعض الأغراض الشعرية الجاهلية مثل الهجاء الفاحش والغزل الصريح. برزت موضوعات جديدة كمدح الرسول ﷺ، والحث على الجهاد، ووصف الفتوحات الإسلامية.

والناظر لظهور الاسلام في القرن السابع الميلادي يرى ذلك التحول الجذري في منطقة شبه الجزيرة العربية الذي لم يقتصر هذا التحوّل على الجوانب الدينية والاجتماعية، بل امتد ليشمل الأدب العربي شعرًا ونثرًا. فقد غيّر الإسلام مضامين الأدب وأغراضه وأساليبه، مما أدى إلى ازدهار فنون جديدة مثل الأدب الديني والخطابة والرسائل السياسية، وتراجع بعض الأغراض الجاهلية مثل الهجاء والفخر القبلي والغزل الفاحش. ولأن ما جاء به الاسلام من تحول جذري في حياة الأمة العربية ونقلها من طور التجزئة القبلية إلى طور التوحد في إطار دولة عربية تدين بالإسلام وتتخذ القرآن الكريم مثلاً

أعلى. وكان لابد لهذا الحدث العظيم من أن يعكس صداه القوي في الحياة الأدبية لهذه الأمة. شعراً ونثراً ومن الطبيعي أن النتاج الأدبي للأمة يتفاعل مع البيئة التي تظله ويخضع لمؤثراتها . وحين تُرصد الظواهر الأدبية في صدر الإسلام يتبين بجلاء ما تركه الإسلام من بصمات واضحة في مسيرة الأدب عصرئذ وفي سماته وخصائصه. ومن أبرز آثاره ضمور(اختفاء) فنون أدبية كانت مزدهرة في العصر الجاهلي وظهور فنون جديدة أو تطور فنون قديمة. فقد قضى الإسلام على سجع الكهان الذي كان مرتبطاً بالوثنية الجاهلية ونهي الخطباء عن محاكاة ذلك السجع في خطبهم، وظهر لون من الخطابة يستقي من ينابيع الإسلام وقد أوجد الإسلام مبادئ خلقية تلائم تعاليمه وروحه فانعكست هذه المبادئ في النتاج الأدبي في ذلك العصر. وكان للإسلام يد لا تنكر في ازدهار النثر الأدبي، ولاسيما الخطابة والترسل، فقد أصبحت الخطابة وسيلة لنشر الدين والوعظ وبيان مبادئ الإسلام والحض على الجهاد والدعوة إلى مكارم الأخلاق، وكان الرسول عليه السلام وخلفاؤه خطباء بارعين، وكذلك كان جل عمالهم وقوادهم. وقد دعا قيام الدولة الإسلامية واتساع سلطانها إلى الاستعانة بالكتابة والكتاب، وكانت الكتابة محدودة الانتشار في العصر الجاهلي فاتسع لها المجال في صدر الإسلام وأقبلت الناشئة على تعلم الكتابة وانتشر بذلك فن الترسل إلى جانب استمرار فن الوصايا الذي تلون بلون البيئة الجديدة وهي البيئة الإسلامية .

الفنون النثرية في صدر الإسلام

الخطابة:

الخطابة فن قديم استخدمها العرب في أيام الجاهلية، وهي من الطرق الطريقة الأكثر اقناعاً وتأثيراً وانتشارا، حيث استخدمت كوسيلة للإرشاد والنصح في أمور الحياة والدين والمبادئ والقيم والمذاهب، وهي بذلك تؤدي إلى إثارة حماس الناس لفكرة، أو الاستعداد لحرب، أو السلم وحقن الدماء.

تعريف الخطابة

لغة: وردت لفظة خطب في القرآن الكريم في أماكن مختلفة تشترك في الإطار اللغوي لهذه اللفظة، إذ يقول سبحانه وتعالى" فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ" سورة ص الآية 23. وجاء في لسان العرب لابن منظور: " يقال: خطب فلان إلى فلان خطبة أو خطبه، أو أجابه، الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان، قال الليث: والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر واختطب يخطب خطابة... ورجل خطيب حسن الخطبة، وجمع الخطيب خطباء وخطب بالضم خطابة بالفتح صار خطيبا..."[1].

وفي تعريف آخر ترد وجاء في أساس البلاغة للزمخشري يبين فيه أن الخطاب هو غاية يريد بها الخطيب الاستمالة والإقناع في نفسية المستمع وجذب انتباهه حيث يقول:" خاطبة أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام والمجاز: فلان يخطب عمل كذا، يطلبه، وأخطبك الأمر، وهو أمر مخطب ومعناه أطلبك من طلبت إليه حاجة فطلبني "[2] .

اصطلاحا: تعد الخطابة ضرًبا من ضروب النثر في الأدب العربي، وعمادها اللسان والارتجال فهي من الفنون التي عرفت منذ العصر الجاهلي ومن الوسائل البيانية الضرورية للتعبير عما يتعلق ببيئتهم وحياتهم العامة. **حيث يرى محمد التنوخي** بأن الخطابة" فن من الفنون النثرية عند العرب، وقوامه الكلمة الفصيحة والعبارة البليغة، يعتمدها الخطيب لإقناع سامعيه بصواب فكرة أو نثر مبدأ أو عقيدة... مستعينا على إبلاغ غرضه لما يضاعف ويساعد طاقة النطق الشفهي من نبر مستساغ أو شارة موحية، وصوت إيقاعي مؤثر وكل ما يستطيع أن يستحوذ به قلب جمهوره من بث العاطفة أو اثارة الخبال، ويستهوي عقله من منطق سديد وبرهان أكيد، وحجج لا يقف بوجهها ريب ولا شكوى "[3] . الهدف من الخطبة هي الإقناع واستمالة المستمعين.

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، دار الصادر للطباعة والنشر، بيروت، ج 1،د.ط ، 1388هـ / 1986م، مادة خطب، ص 360 .

[2] الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفلك، بيروت، لبنان، د.ط، 2000،ص 168-167.

[3] محمد التنوخي، فن الكتابة والقول، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1423 ،1هـ /2000م، ص 183.

وهذا ما ذهب إليه جبور عبد النور في تعريف آخر بنفس المعنى:" فن التعبير عن الأشياء بحيث أن السامعين يصغون إلى ما يقوله المتكلم في موقف رسمي مختلف عن المجالس المألوفة في الحياة اليومية، وهي تشد عادة الرابط بين أذهان السامعين من جهة، والأفكار التي تناهي إليهم من جهة أخرى، وهذا يفرض على المتكلم أن يكون ذا ثقافة واسعة ليتواصل إلى تنسيق خطبته وتوضيح الأفكار التي يعالجها وطريقة عرضها لتتوقف مع المحرضات النفسية والعقلية في الجمهور[1].

هذا وقد عرفها الجرجاني بأنها بيان مركب من شخص يريد الاستمالة وغرضه ترغيب الناس بما ينفعهم ويفيدهم وما جاء في قوله:" هو قياس مركب من مقدمات مقبولة، أو مظنونة من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعله الخطباء والوعاظ "[2]. وبهذا نستطيع الوقوف على أن المعاني الاصطلاحية للخطبة تدور جميعها على فن القول والإلقاء بغرض التأثير والإقناع، حيث تمتاز بالفصاحة والبلاغة وقوة الحبكة، بمخاطبة المستمعين.

نشأة الخطابة العربية:

الحديث عن الخطابة يتعلق بالإنسان بوصفه فرد في مجموعة أو قبيلة، فالإنسان يعيش مع إخوانه وأخواته من بني الإنسان، وقد عرفت البشرية خطابة من نشأتها، ذلك أن الإنسان مدني بفطرته لا يستطيع أن يعيش منفردا أو معزولا عن الجماعة. ولا بد أن يتآلف مع غيره، في مجموعة معينة، تربطها صلات القرابة أو المصاهرة، أو التعاون في جذب المنافع ودفع الأضرار. فهي ضرورة اجتماعية وسلاح معنوي حيث تسلح الانسان في حياته القديمة بأسلحة مادية للدفاع والعدوان، وتسلح أيضا بسلاح معنوي وهو اللسان، ومازالت الخطابة إلى يومنا هذا سلاحا يقود الأمم. فقد ارتقت الخَطابة مع ظهور الاسلام الإسلامية، وبلغت الغاية في الكمال مظهرًا وجوهرًا، أو أداءً ومضمونًا، وكان من أكبر عوامل ارتقائها وسموها؛ استمدادها من القرآن الكريم، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتأثّر الخطباء ببلاغة وفصاحة القرآن والحديث النبوي الشريف. ولأنها كانت جزءًا أساسيًا

[1] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 103.

[2] عبد القاهر الجرجاني، معجم التعريفات، باب خاء، تحق: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، د.ط، د.ت، ص 87.

من الحياة الاجتماعية والسياسية. اعتمد العرب آنذاك على البلاغة والفصاحة في التعبير عن آرائهم، سواء في المحافل القبلية أو عند الدفاع عن قضاياهم أو التحريض على الحروب. وقد تطورت الخطابة وأخذت أبعادًا جديدة، أصبحت وسيلة لنشر الدعوة وتوجيه المجتمع، وانتقلت إلى مستوى أعمق بكونها أداة مؤثرة في نشر العقيدة والدفاع عنها.

لقد أضفى القرآن الكريم والحديث الشريف بعدًا روحيًا وبلاغيًا على الخطاب العربي، فانتقلت الخطابة من كونها وسيلة للتفاخر أو التحريض إلى فنّ يخدم الدعوة والإصلاح الاجتماعي. واستمر هذا الفن في الازدهار خلال العصرين الأموي والعباسي، حتى صار ركنًا ثابتًا في الأدب العربي.

أنواع الخطابة: أخذت الخطابة في صدر الإسلام تثبت أقدامها لحاجة المسلمين إليها، وبدأت تسير في طريق النماء والنضج بشتى أنواعها في حين توارى سجع الكهان واختفى كما برزت مكانة **الخطابة الدينية** التي تهدف إلى الوعظ والإرشاد، توجيه الناس في أمور الدين والحث عليه، كما أن مضمونها مستمد من الآيات القرآنية، أحاديث، قصص الأنبياء. يعتمد فيه الخطيب على الأسلوب البسيط والواضح المؤثر، ولعل أمثلة: خطبة الجمعة، المناسبات الدينية كالعيد مثال على ذلك. ومن أشهر الخطباء محمد ﷺ فكان يخطب في المسلمين موضحاً لهم شؤون عقيدتهم. وجاء الخلفاء الراشدون بعده فساروا على نهجه، وكانوا يعظون المسلمين في خطبهم ويحضونهم على مكارم الأخلاق. وقد احتلت الخطابة الدينية المنابر وحلقات المساجد منذ ذلك العصر، وكثر الوعاظ والقصاص. وفي الوقت عينه ظهرت الخطابة السياسية التي تدور حول شؤون الحكم وسياسة الرعية، وتهدف إلى التأثير في الجماهير والدفاع عن المواقف السياسية. تعتمد على العاطفة والمنطق والأسلوب القوي والمباشر لبث الحماسة. مثل خطب الثورات وغيرها. كما نجد أيضا الخطابة الاجتماعية التي جاءت بهدف معالجة القضايا الاجتماعية وتعزيز القيم الأخلاقية. بأسلوب لين، عاطفي، فيه الكثير من الأمثلة الواقعية كخطب المناسبات العامة.

خصائص الخطابة في العصر الإسلاميّ:

1- التأثر بالقرآن الكريم والحديث الشريف: استخدم الخطباء المسلمون القرآن الكريم والأحاديث الشريف لتأكيد الحُجج. واستدلّوا بآياته، تم الاعتماد على الأساليب البلاغية القرآنية، مثل السجع والتكرار.

2- البساطة والوضوح: تتميز الخطابة بألفاظ سهلة جزلة، بعيدة عن التعقيد اللفظي والمعنوي

3- الابتعاد عن التعقيد اللفظي والمبالغة في الزخرفة. تعتمد على جمل قصيرة وواضحة تصل بسرعة إلى المستمع. وتقديم الأفكار بطريقة تسهل على عامة الناس فهمها.

4- الواقعية والقدرة على الاقناع: تأتي الخطبة لمعالجة قضايا المجتمع وتقديم حلول مستمدة من الشريعة. بحيث تشتمل على أدلة وبراهين تثبت صحة الفكرة التي يدعوا إليها الحديث، وتؤخذ هذه الأدلة من التأمل في الموضوع وإمعان النظر في أحواله ليسهل استنباطها والتفاعل فيه مع الأحداث الجارية والواقع السياسي والاجتماعي.

5-وحدة الموضوع.

6- وضوح الأفكار والقضايا.

7- الإيجاز مع البلاغة.

فن (الرسائل):

فن الرسائل هو أحد الألوان الأدبية الراقية، وهو يعكس قدرة الكاتب على التعبير عن أفكاره ومشاعره بأسلوب بلاغي. كان لهذا الفن حضور قوي في الأدب العربي، سواء في العصر الجاهلي أو الإسلامي أو حتى في العصور الحديثة. بدأ فن الترسل يحبو في عصر صدر الإسلام ويخطو خطواته الأولى في طريق النضج لأن قيام الدولة الإسلامية استدعى وجود كتاب يوجهون الرسائل إلى العمال والقبائل في مختلف أقطار الدولة، فكان للرسول كتابه كما كان لخلفائه وولاتهم من بعده كتابهم. أصبحت الرسائل أداة حيوية للتواصل السياسي والديني والاجتماعي، وساهمت في نشر الإسلام وتعزيز أركان الدولة الإسلامية. حيث شهدت تطورًا كبيرًا نتيجة لانتشار الدعوة الإسلامية وتأثير القرآن الكريم والحديث

الشريف على لغة الكتابة وأسلوبها. ومن الكتاب الذين استعان بهم الرسول (ص) لكتابة الوحي وكتابة الرسائل علي ابن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبان بن سعيد، وخالد بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت.

خصائص الرسائل في صدر الإسلام:

اكتسب فن الرسائل طابعًا مميزًا متأثرًا بروح الإسلام وتعاليمه، مما أثرى اللغة والأسلوب، وجعل الرسائل أداة قوية للدعوة تتسم **بالإيجاز والوضوح** وتركّز على المعنى دون تكلّف أو زخرفة. بشكل مباشرة ومختصر، كما أنها تعتمد على **القوة الخطابية:** التي فيها الكثير من الحكمة والألفاظ القوية والتأثير والإقناع. **الالتزام بالدين والأخلاق** والتأثر الكتّاب بالقرآن والسنة، فأصبحت الرسائل تحمل معاني الوعظ والإرشاد. واستخدم القرآن والحديث لتدعيم حججهم وإضفاء هيبة على الرسالة.

التحية الإسلامية: تغيرت التحايا الجاهلية واستبدلت بتحية الإسلام: "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته". كما جاء الدعاء في الختام ، مثل: "والسلام على من اتبع الهدى".

ومن نماذج رسائل الرسول (ص) رسالته إلى النجاشي ملك الحبشة:" بسم الله الرحمان الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس، السلام المؤمن، المهيمن... وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى[1].

الوصايا في صدر الإسلام

[1] نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري، دار الفيحاء، دمشق، ط2، 1425 هـ، ص 181

الوصايا في صدر الإسلام: ظهرت الوصايا في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية، وكانت جزءًا مهمًا من بناء المجتمع الإسلامي وتشكيل الشخصية المؤمنة كانت تهدف إلى ترسيخ القيم والأخلاق الإسلامية، وتعزيز الترابط بين أفراد المجتمع. **وهي فن أدبي نثرى يتضمن وشائج القربى بين الموصي والموصى إليه، وتواكبه الرغبة في تجسيد روابط المحبة والمودة مما انتقل بطريقة أو أخرى . وتأتي بمعنى النصح والإرشاد والتوجيه، وهي قول بليغ مؤثر، ويتضمن حثًّا على سلوك طيب نافع.** اتخذت مسارا جديدا مع ظهور الإسلام متأثرة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وعادات المسلمين في ذلك الوقت.

الخصائص الموضوعية والفنية التالية:

– سهولة العبارات والألفاظ والابتعاد عن التعقيد في الأسلوب.

– ابتداء بعضها بالحمد لله والثناء عليه، والصلاة على رسوله.

– اتباعها الطريق الديني، ومحاكاتها أسلوب الذكر الحكيم، والسنة النبوية المطهرة، واقتباسها من أسلوب الحكم والمواعظ الحسنة.

– تنوع اتجاهاتها الموضوعية بين الأغراض الدينية والسياسية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية وغيرها.

–**الوصايا الدينية:** وهي وصايا وعظيه تربط الإنسان بربه، فتُذكّره بتوحيد الله، والالتزام بالعبادة، والابتعاد عن الشرك والمعاصي. وتظهر مدى تأثرها بالمفاهيم التي وردت في القرآن والسنة، واستمدت منهما الكثير من مضامينها.

–**الوصايا السياسية:** وتشمل وصايا الخلفاء إلى من يلي الأمر بعدهم وتنظيم شؤون الرعية والمجتمع لضمان سلامتهم وسلامة ممتلكاتهم.

–**الوصايا الاجتماعية** وتعزز الترابط بين الناس وتنظم العلاقات.

أهمية الوصايا:

كانت الوصايا في صدر الإسلام بمثابة نور يهدي الناس إلى الطريق المستقيم، وهي الأساس الذي بني عليه المجتمع الإسلامي الأول. وهي دستور أخلاقي يهدف إلى:

- توجيه المسلمين نحو العمل الصالح والإصلاح مع ترسيخ القيم الدينية والإنسانية
- تحقيق العدل والمساواة بين الناس وبناء منظومة أخلاقية متكاملة.
- تعزيز الروابط الاجتماعية والأسرية وتنظيم شؤون الحياة بتقوية العلاقات الاجتماعية.
- حماية المجتمع من الفساد والانحلال والعمل على توجيه الإنسان نحو النجاح الحقيقي

خصائص النثر الأدبي في صدر الإسلام:

تميز النثر الأدبي في صدر الإسلام بعدة خصائص تأثرت بظهور الإسلام وتعاليمه، كما تأثر بالأساليب البلاغية للقرآن الكريم والحديث النبوي، ومن هنا كان النثر الإسلامي أفضل تصويراً للحياة الإسلامية من الشعر، فضلاً عن أن القرآن الكريم كان معجزة بلاغية ألقت ظلالها على نتاج الخطباء والمرسلين فطبع بطابع إسلامي واضح القسمات، فكان النثر في هذه الحقبة إسلامياً، سواء في سماته الفنية أو في أغراضه ومعانيه. ومن أظهر الآثار الإسلامية في نثر تلك الحقبة حرص الخطباء على استهلال خطبهم بذكر اسم الله وحمده والصلاة على نبيه، وتضمين خطبهم بعضاً من آي القرآن، حتى لقد سموا الخطبة بتراء إن لم تبدأ بذكر اسم الله وحمده، وسموها شوهاء إن هي خلت من آي التنزيل. هذا إلى جانب الاستمداد من المعاني الإسلامية والقرآنية، ومحاكاة الأسلوب القرآني والاستعانة بالصور والأمثال القرآنية. وما وجد في الخطابة يصدق كذلك على الرسائل والوصايا والنثر عامة إبان تلك الحقبة. وقد حاول الخطباء وكتاب الرسائل تجنب بعض السمات التي عرفها النثر الجاهلي، والسجع خاصة، كراهة محاكاة سجع الكهان.على أن النثر الأدبي ظل بوجه عام وفياً للأعراف المستمدة من الطريقة العربية

المتوارثة من حيث إيثار الإيجاز في العبارة وتجنب التكلف والابتعاد عن الزخرف اللفظي إلى جانب وضوح المعاني وتوخي الجزالة والرصانة في الأسلوب.

ويمكن جمع خصائص النثر الأدبي في العصر الاسلامي في النقاط التالية:

البلاغة والفصاحة: اتسم النثر في هذه الفترة بالوضوح في المعاني، حيث كان يهدف إلى التوجيه والإرشاد، وليس التعقيد أو الزخرفة اللفظية. استخدام فيه الأسلوب المباشر البعيد عن الغموض والتعقيد . الذي يتسم بلغة قوية وجذابة ويستخدم الأدباء فيه أساليب بلاغية متنوعة. والبعد عن الترف اللغوي والتكلف الذي لم يكن النثر الأدبي في هذه الفترة يسعى فيه إلى التأنق اللفظي أو التصنع، بل ركّز على المعاني والمضامين التي تخدم الدعوة الإسلامية والتوجيه الأخلاقي والاجتماعي.

التأثير الديني : استمد النثر الأدبي ألفاظه وأساليبه من القرآن الكريم والحديث، مما أكسبه طابعًا دينيًا وروحانيًا. حيث كثر استخدام أساليب الأمر والنهي، والموعظة، والتحذير، والترغيب والترهيب. ولعب النثر دورًا كبيرًا في نشر تعاليم الإسلام، حيث استخدم الكتاب أساليب نثرية لتفسير القرآن والسنة. هذا وقد اعتمد الأدباء الأسلوب القصص لنقل الأحداث التاريخية والدروس الأخلاقية.

التفاعل الاجتماعي :عكس النثر الأدبي قضايا المجتمع وتحدياته، مما جعله أداة تعبير عن الآراء والمشاعر. كان الهدف الأساسي للنثر هو التأثير في المتلقي وإقناعه، لذا استخدم أساليب الحث والتوجيه والتكرار والتأكيد.

شكّل النثر الأدبي في صدر الإسلام قاعدة مهمة للنثر العربي في العصور اللاحقة، حيث كان بسيطًا في أسلوبه، قويًا في تأثيره، وموجهًا لخدمة القيم الإسلامية والأخلاقية.
ساهمت هذه الخصائص في تشكيل هوية الأدب العربي في تلك الفترة.

المحاضرة التاسعة: الأدب الأموي

الحالة السياسية في العصر الأموي:

بدأ هذا العصر –الدولة الأموية– في عام واحد وأربعين هجرية تطورات سياسية كبيرة شكّلت أحد أهم المراحل في التاريخ الإسلامي. عندما تنازل سيدنا الحسن ابن على بن أبى طالب عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان للخلافة حقناً للدماء بعد ما كان حكم الدولة الإسلامية في زمن الخلفاء الراشدين خلافة دينية فصارت في أيام بني أمية مُلكًا، وكانت شورى فصارت إرثاً، وعندما اجتمعت كلمة المسلمين بعد فرقة سمى هذا العام 41 هـ (عام الجماعة) لاجتماع كلمة المسلمين. ولكن سنعود تاريخا لنتتبع مسار تولي لمعاوية بن أبي سفيان الحكم إذ أنه بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه عام 35 هـ، تولى علي بن أبي طالب الخلافة، لكن معاوية بن أبي سفيان، الذي كان واليًا على الشام، رفض مبايعته، مطالبًا بالقصاص لعثمان. هذا الخلاف أدى إلى معركة

صفين (37 هـ)، التي انتهت بالتحكيم، لكنه لم يحلّ الخلاف بين الطرفين. ظل الوضع مضطربًا حتى قُتل علي بن أبي طالب على يد الخوارج سنة 40 هـ.

تنازل الحسن عن الخلافة بعد مقتل علي، بويع ابنه الحسن بن علي بالخلافة، لكنه فضّل حقن دماء المسلمين. توصل الحسن إلى صلح مع معاوية عام 41 هـ، وتنازل له عن الخلافة بشرط ألا يورّثها، وأن يُحقن دم المسلمين. هذا العام سُمّي بـ عام الجماعة، لأنه وحّد صفوف المسلمين تحت راية واحدة.

حكم معاوية المسلمين لمدة عشرين عاماً تميزت فترته بالحكمة والدهاء السياسي، حيث اشتهر بالصبر والقدرة على إدارة الأزمات أرسى نظام الحكم الوراثي، وعيّن ابنه يزيد بن معاوية وليًا للعهد عن طريق البيعة فابتدع فكرة ولاية العهد، ما أثار اعتراض وتعصب، بنو أمية عامة ولقريش خاصة؛ مما حرك عوامل الحسد في نفوس القبائل التي كان لها شأن في الجاهلية وضاع فضلها في الإسلام، وأدى هذا إلى تعصب العرب كافة على قريش لاستبدادهم بالسلطان دون سائر الصحابة والتابعين. وكما كان القرشيون مقدمين على سائر العرب، كان العرب مقدمين على سائر الأمم التي دانت للمسلمين. فسقط حق المسلمين من غير العرب في أمورٍ كثيرة، حتى قيل بأن الجزية أُخذِتْ منهم رغم إسلامهم. هذا وأخذ البيعة لابنه يزيد فتولاها يزيد عام 61 هـ بعد موت أبيه معاوية، وقد حكم يزيد البلاد لمدة أربع سنوات شهدت أحداثاً جساماً، حيث أستشهد في عهده سيدنا الحسين بن على في موقعة كربلاء، ووقعت في عهده وقعة الحرة التي أبيحت فيها مدينة رسول الله – ﷺ – لمدة ثلاثة أيام. ثم بعد أن توفى يزيد بويع ابنه معاوية الثاني وكان رجلاً صالحاً فلم يبق في الحكم سوى أربعين يوماً ثم ترك الحكم للناس يختاروا ما يشاءون، ولما توفى بايع أهل الحجاز والعراق ومصر وفارس عبد الله بن الزبير، وبايع أهل الشام مروان بن الحكم. وقد ظلت الدولة الأموية لمدة أثنين وتسعين عاماً حيث انتهت في ألف واثنتين وثلاثين سنة (132 هـ).

تبلور ونتيجة لهذه العوامل (الحكم الوراثي–العصبية القبلية– ظلم الموالي) فقد تبلور العداء للدولة الأموية، فنشأت مجموعة من الأحزاب السياسية التي حاولت الخروج من

وطأة حكم الأمويين من شيعة وخوارج ثم زبيريين، وقد كان لهذه الأحزاب أثر جلي في الحركة الشعرية. إذ ازدهر الشعر السياسي كما سيتضح فيما بعد.

ملامح وخصائص الحكم الأموي:

الحالة الاقتصادية: شهدت الحالة الاقتصادية تحولات كبيرة نتيجة لتوسع الدولة واستقرار الأوضاع بعد الفتنة الكبرى، حيث أدت الفتوحات إلى تأثر العرب بالحضارات الأجنبية، وامتلاء حجورهم بأموال الفيء والغنائم وما رسم لهم في دواوين الدولة من رواتب ثابتة. فسرعان ما أترفوا وكثر المال جعل الإيرادات المالية للدولة منها ضريبة الأرض الزراعية، وكانت من أهم مصادر الدخل. كما فرضت الجزية على غير المسلمين من أهل الذمة. هذا وقد جعل الصدقات تصرف في مصارفها الشرعية. كما حافظ معاوية على تنظيم ديوان الخراج وديوان العطاء، بل عززهما لتسهيل جباية الأموال وتوزيع العطاء على الجنود. الأمر لم يتوقف هنا وحسب بل ساهم في تنشيط الاقتصاد بتحسين البنى التحتية ودعم الزراعة والتجارة وضبط العملة، وأُمن الطرق التجارية التي تربط بين الدول مما يشجع على التجارة الداخلية والخارجية. كل هذه الملامح جعلت من الدولة الأموية بقيادة معاوية في استقرار سياسي والاقتصادي.

الحالة الدينية: تأثرت الحالة الدينية بالتحولات السياسية التي رافقت نشأة الدولة الأموية. لكن في الوقت ذاته، كان الدين ركيزة أساسية للحكم وللشرعية السياسية: اتسعت موجة الزهد في هذا العصر.

اهتم فيه معاوية ببناء المساجد وتطوير البنية التحتية الدينية. حيث وُصف بأنه كان حريصًا على صلاة الجماعة، وحرص على تهيئة الناس للعبادة في الشام. كما حرص على التسامح الديني وضمان حرية العبادة لغير المسلمين مقابل دفع الجزية. الأمر الذي لم يضيق فيه معاوية على الناس في العبادات؛ بل احترم معاوية العلماء والصحابة، وكان يستشير بعضهم في أمور الدين والدنيا.

الشعر السياسي في العصر الأموي:

برز الشعر السياسي في العصر الأموي (41–132 هـ) بشكلٍ واضح فهو يعدّ واحدا من أغنى الفترات التي ازدهر فيها الشعر السياسي، حيث تحولت القصيدة إلى أداة حادة تعكس الصراعات الفكرية والسياسية بين الفرق المتناحرة. في هذه الفترة، لم يكن الشعر مجرد فن أدبي، بل أصبح وسيلة للدفاع عن العقائد، والهجوم على الخصوم، وبناء شرعية السلطة أو تقويضها.

ويقصد بالشعر السياسي القصائد التي قيلت لإحياء أو تمجيد أو دعوة لفكرة سياسية، أو هو نضال عن حكم أو نظرية معينة فيه أي أن الشعر السياسي يخدم الفكرة والرؤية السياسية ذاتها، ولا يمدح ذات الحاكم، فهو دفاع من جهة وهجوم من جهة أخرى، ودفاعه يكون عن نظرية يعتنقها جماعة وهجوم على خصومه الذين يعارضونه. ويقصد بالشعر السياسي ذلك اللون الفني الذى تولّد من الأحداث السياسية، والتكتلات الحزبية المنطلقة إلى الحكم، والراغبة فى الوصول إليه منذ بدايات النصف الثاني من القرن الأول الهجر وعلى وجه التحديد منذ أعلن معاوية إسناد أمر الخلافة من بعده إلى ابنه يزيد، حيث تحزبت الدولة وبدأ لكل حزب أنصاره، ومؤيدوه من الشعراء وغيرهم.

عوامل ازدهار الشعر السياسي: ازدهار الشعر السياسي ارتبط بعدة عوامل أثرت على تطوره وانتشاره عبر العصور. وفي ما يلي أهم العوامل التي ساهمت في ازدهار الشعر في العصر الأموي نجمعها في النقاط التالية:

الأحداث السياسية الكبرى: انقسم المسلمون إلى تيارات متصارعة مثل الأمويين، الشيعة، الخوارج، وأنصار الزبيريين، وكل فريق امتلك شعراء يرفعون لواء قضيته. وبتعدد الثورات، الحروب، والصراعات السياسية أثارت مشاعر الغضب أو الأمل لدى الشعراء، فعبّروا عن مواقفهم تجاه السلطة، العدالة، والحرية.

الوعي السياسي والثقافي: انتشار الفكر السياسي وزيادة وعي الشعوب بحقوقهم ساعد الشعراء على التعبير عن هموم الناس، مما جعل الشعر وسيلة لنقل الأفكار الثورية والإصلاحية.

القمع السياسي والظلم الاجتماعي: لعب الانتماء القبلي دورًا كبيرًا في دعم الأطراف السياسية، مما أشعل المنافسات الشعرية. بفعل الأنظمة القمعية والاستبداد دفعت الشعراء للثورة بالكلمة، واستخدام الشعر كوسيلة لمقاومة الطغيان وفضح الفساد.

الحركات القومية: ظهرت الحركات التحررية ضد الاستعمار من أجل الوحدة الوطنية حفّز فيه الشعراء على كتابة قصائد تشعل الحماس القومي وتعزز الهوية الثقافية.

المنابر الأدبية والثقافية: انتشار في العصر الأموي الصالونات الأدبية، المجلات، والمنشورات ساعد في نشر الشعر السياسي وتوسيع دائرة تأثيره. مع دعم الجماهير للشعراء السياسيين التفاعل معهم حيث عبّروا عن مشاعر الناس وآمالهم، ما جعل الشعر السياسي وسيلة لتوحيد الصوت الجماهيري. بوجود شعراء يتمتعون بشخصية كاريزمية وصوت مسموع ساهم في تحفيز الجماهير.

مميزات الشعر السياسي: الشعر السياسي أداة نضالية فعالة أثّرت في الحركات الثورية وحفظت هوية الشعوب، يتميز بعدة خصائص جعلته وسيلة قوية للتعبير عن القضايا السياسية والاجتماعية ومن بين هذه المميزات ما يلي:

1- أسلوب البرهنة والاحتجاج: بصدق دعاوى المذهب أو نقض اطروحات المذاهب الأخرى.

2- يتميز الشعر السياسي بالنبرة الحماسية التي تثير المشاعر، سواء للحث على الثورة أو لتعزيز الانتماء الوطني. والالتزام بالقضية التي يسخّر فيها الشاعر السياسي صوته للأمة وللدفاع عن قضايا الناس، مثل الحرية، العدالة، ومقاومة الاستبداد. كما أن كتابته استجابة للوقائع السياسية والاجتماعية، مما يجعله مرتبطًا بالزمان والمكان، وكأنه مرآة للواقع. يتفاعل مع الأحداث.

3- استدعاء التاريخ والرمز غالبًا ما يستحضر الشعراء أحداثًا تاريخية أو شخصيات نضالية لربط الماضي بالحاضر، وإلهاب الشعور القومي الذي يلجأ فيه الشعراء للرموز والإيحاءات.

4- الشعر السياسي بالنبرة الحماسية التي تثير المشاعر، سواء للحث على الثورة أو لتعزيز الانتماء الوطني.

انشقاقات الأمة الاسلامية في العصر الأموي تبلور الأحزاب: ظهرت عدة أحزاب سياسية تعكس الانقسامات والصراعات الفكرية والدينية التي كانت تؤثر في المشهد السياسي. هذه الأحزاب لم تكن بالمعنى الحديث، لكنها كانت تيارات أو جماعات تتبنى أفكارًا سياسية وعقائدية مختلفة ومن بين هذه الاحزاب ما يلي:

1/ الحزب الأموي: وهو الحزب الحاكم بقيادة معاوية وبيته، الذي استحوذ على السلطة والنفوذ في هذه الفترة، حيث قدموا أنفسهم للناس على أنهم رعاة الدين، وحراس العقيدة، وهو ما يمثل حقاً أصيلاً لهم فى الخلافة من وجهة نظرهم.

2/ الحزب العلوي: والذي تمثل بأهل البيت ومواليهم. وهم الذين يرون أن بنى هاشم من نسل على أحق الناس بالخلافة بطريق التسلسل الوراثي، بحيث لا تخرج منهم إلا بوصية.

3/ الخوارج: وهم أولئك الذين خرجوا على الإمام على – كرم الله وجهه – بعد قبوله التحكيم. ويرى بعض الباحثين أنهم من أقدم الفرق الإسلامية، وكان مبدأهم يقوم على أنه (لا حاكم إلا الله) وبناءً عليه فالخلافة ليست لبني أمية ولا هي لآل بيت النبي، بل هي لمن يختاره المسلمون ويحكمونه عليهم ولو كان عبد حبشي. يذهبون فيه إلى ترك أمر الخلافة شورى بين المسلمين، ويختار له الكفء والأصلح، ويقدمون كثيراً من النصوص الدينية الصريحة التي تنادى بالتسوية بين المسلمين

4/ الحزب الزبيري: الذي تزعمه عبدالله بن الزبير وأخوه مصعب الذى بايعه أهل مكة. يرون أن الخلافة حق لقريش على إطلاقها، ويختار لها الكفء والأصلح، وليس أصلح لها من ابن الزبير.

المحاضرة العاشرة: مدرسة الغزل في العصر الأموي

شعر الغزل في العصر الأموي: ازدهر شعر الغزل بشكل لافت، وبرز كشكل أدبي مميز يعكس العواطف الرقيقة والتجارب العاطفية. ويعني التحدث عن وإلى النساء في الشعر وقد عرف بأنه" حديثُ الفِتيان والفَتياتِ، يُقَال: غَازَلتهَا مُغَازَلَةً والتغزُّلُ : تكلُّفُ ذَلِك وتقول مُغازَلة، وَرَجُلٌ غَزِلٌ: مُتَغَزِّلٌ بِالنِّسَاءِ عَلَى النَّسَبِ أَي ذُو غَزَلٍ، وَفِي الْمَثَلِ: هُوَ أَغْزَلُ مِنِ امْرِئِ الْقَيْسِ"[1]. واذا رجعنا الى أمهات كتب اللغة وجدنا ان الغزل والنسيب والتشبيب كلمات مترادفات: فان سيدة يقول: ان الغزل تحديث الفتيات الجواري، والتغزل: تكلف ذلك. والنسيب: التغزل بهن في الشعر، والتشبيب مثله. " أن الغزل حديث الفتيان والفتيات واللهو مع النساء. ومغازلتهن: محادثتهن ومراودتهن. والتغزل: التكلف ذلك. ونسب بالنساء ينسب

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب ،ج11، دار صادر، بيروت، لبنان، 1414هـ، 3 ط، ص 492.

نسبا ونسيبا ومنسبة: شبب بهن في الشعر وتغزل. وشبب بالمرأة قال فيها الغزل والنسيب. وهو يشبب بها أي ينسب بها. ويقول الزبيدي مثل ذلك.

الغزل والنسيب، ليست هاتان الكلمتان مترادفتين بالمعني الأخص كما جري فى عرف الناس، ولكن بينهما فرقاً نبه عليه قدامة فقاله: إن النسيب ذكر خلق النساء واخلاقهن وتصرف أحوال الهوي به معهن، وقد يذهب[عن] قوم موضع الفرق بين النسيب والغزل، والفرق بينهما ان الغزل هو المعني الذى اعتقده الانسان. والتشبيب عبارة عن وصف حال المعشوق وحال الشاعر فى عشقه ويسمونه ايضاً بالنسيب أو الغزل، ولكن المشهور بين الناس ان كل صفة اوحال يشرحونها فى بداية القصائد باستثناء مدح الممدوح تعتبر تشبيباً[1]. وهكذا فقد وافق الأدباء اللغويين، واستعملوا المسميات الثلاث كمترادفات دون تفريق، أو تمييز للفظ دون لفظ. وبناء على ما تقدم من آراء هذه النخبة من اللغويين والأدباء فتسمية مقدمات النسيب التقليدية للقصيدة العربية بـ الغزلية لا تعني تمييزا للّفظ ولا خصوصية له، فلا ضير في تبادل الاستعمال فيما بين المسميات الثلاثة، وسواء قيل غزل أو نسيب أو تشبيب فكلها تؤدي الغرض نفسه والمعنى ذاته، إلا أن كلمة غزل هي أكثرها شيوعا

كمت يعرف الغزل بأنه" حالة عاطفية مركبة تشكل كيان الإنسان بكامله جسدا وعقلا وروحا، وتمتزج فيه عوامل عديدة، مثل اندفاع الشهوة والانفعال العاطفي والهوى والعطف والتجاوب والتعاطف والمودة والنزوع نحو التضحية في سبيل مصلحة المحبوب وهنائه وسعادته"[2] فالأمر يتطلب من الرجل أن يتحدث الى المرأة حديثاً مؤثراً جذاباً حتى يستميلها الى ودِّه، يستهويه الى حبه. ومن أجل تحقيق هذه الغاية يسلك شتى الوسائل، ويركب صعب الأمور. يختال إذا وصل بالحيلة الى غايته، ويداري إذا نفعت المداراة، ويلين إليها ويهش بوجهه لها، ويتوسل إليها، لعل ذلك يغني من الأمر شيئاً، وهي تهجر حيناً وتصل حيناً آخر وتتمنّع مرة، وتبدي التدلل مرة أخرى. فالغزل شكل من أشكال التعبير عن

[1] حسان ابو رحاب، الغزل عند العرب، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، 1414هـ/2004م. ص 24.

[2] في الحب والحب العذري، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، ط01 ،1967، ص 12.

خلجات النفس الإنسانية وعن المشاعر الفياضة التي تنبعث منها حين يمتلكها سلطان المحبة وتتأجج فيها العواطف، فهو- الغزل- يصور أحوال النفس بما لا يستطيع أن يصورها غيره من الموضوعات، لأنه يكشف عن دواخل المحب، وسرائر المحبوب، وينبع من عاطفة صادقة.

إن خيال الشاعر يرسم تطلعات وأحلاما لزمرته الاجتماعية التي ينتمي إليها، وكل تجربة أدبية هي بطاقة سجلت عليها رؤية للعالم صممتها بنى ذهنية مشتركة بين الأديب وزمرته الاجتماعية. وقد عبرت معاني الغزل في العصر الأموي عن تطور وتغير حادث في علاقة الرجل بالمرأة، حتى حكت لنا قصائده كيف كانت المرأة تبادر، بل وتطلب الزيارة. كما حكت لنا كيف أصبح الرجل معشوقا ومتمنعا، وبعد إن كان الرجل لا يجد غضاضة في الإلحاح بحبه، أصبح يأنف بكبرياء إن لم يجد تجاوبا. وقد ضم الغزل فروعاً كثيرة. أهمها:

1. الغزل التقليدي: وهو الذي يأتي في مطالع القصائد بعد ذكر الأطلال، وذلك أنهم إنما يذكرون الديار مدخلاً لذكر أهلها الظاعنين عنها .
2. الغزل الكيدي: الذي لا ينبعث عن عاطفة صادقة ، بل يقال لإيذاء أهل المشبب بها.
3. الغزل الحسي العابث.
4. الغزل العذري العفيف.

والنوعان الأخيران هما ما يهمنا الحديث عنه.

أولاً : الغزل الحسي .

يعرف الغزل الحسي بأنه" التطلع إلى الجمال، والتتبع له، والإقبال عليه بكل ما يملك الإنسان من قوى، وهذا الإقبال الكلي الذي يستبدُّ بجميع القوى"[1] هو النوع الذي يركز على وصف الجمال الجسدي للحبيبة، ويحتفي باللذة الحسية واللقاءات العاطفية. برز هذا اللون الشعري بقوة في العصر الأموي، خاصة في بيئات المدن المزدهرة مثل مكة والمدينة، وقد هيأ الازدهار لهذا النوع من الغزل حياة الترف الذي تمتعت به الدولة

[1] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم ، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1 ، 1986، ص .448

الأموية لما كانت تتمتع به الأسر الغنية من ثراء كبير نتيجة اشتغالها بالتجارة منذ العصر الجاهلي، وبسبب الثراء الواسع الذي عم مدن الحجاز حيث ازدهرت حياة الرفاهية واللهو نتيجة الفتوحات الإسلامية التي صبت كثيراً من أموال الغنائم في مدن الحجاز مكة والمدينة والطائف. بالإضافة إلى مصدر الخير الوفير الدائم لأهل الحجاز وهو الحج، حين أغدقوا الأموال الكثيرة والأرزاق الواسعة على الحجازيين. زد على ذلك الهدوء والاستقرار الأمني، الذي

كانت تعيشه الحجاز.

خصائص شعر الغزل الحسي:

1. وحدة الموضوع : القصيدة عند الغزليين الحسِّيين ذات موضوع واحد، فلا ينتقل الشاعر من غرض إلى آخر.

2. لم يقتصر شعراء الحجاز على الناحية المادية للمرأة، بل تحدثوا عن عاطفتهم. ويظهر من شعرهم أنهم عرفوا الحب وصوروا أحاسيسه. فالمرأة في شعر الغزل الماجن غير متمنَّعة –كما في الشعر العذري – فهي سهلة الانقياد، موافقة تبادل الرجل الحب، وتكشف عن رغبة في اللقاء والتطلع إليه.

3. كان شعرهم مطبوعاً بالطبع اللاهي الصريح، من غير انحدار إلى السفوح المحرمة ومن غير فحش أو صراحة في وصف العلاقة بين المتحابين؛ كما كان الحال في الغزل الجاهلي.

4. لا يتحرج الشاعر الحسي من إعلان اللذة وطلب المتعة المتجددة والاستمتاع بالمرأة، وقد يجاهر بشيء من الفحش. كما أن الشاعر اصطنع الألفاظ الرقيقة والعبارات السهلة التي تكاد تقترب من لغة الحياة اليومية مع تأسيس لغة جديدة تتلاءم مع مقتضيات الحياة، بما فيها من ترف ومجون وابتذال، فقد جاءت عذبة سلسة لينة، وذلك ليتناسب مع طبيعة فن الغناء. وكانت هذه أول دفعة قوية نحو تصفية الشعر العربي من الألفاظ البدوية الجافية.

5. شيوع الحوار القصصي: وهذ اللون يكسب شعرهم طرافة وجمالا، ويخلق جوا من المرح. وهو في الغالب حوار بين الشاعر وامرأة شريفة تحيط بها أترابها .

ومن أهم شعراء الغزل الحسي في هذا العصر:

عمر بن أبي ربيعة، أبو دهبل الجمحي، الحارث بن خالد المخزومي، وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الملقب بالعرجي، وعبيد الله بن قيس الرقيات، والأحوص، وعبد الرحمن بن حسان .

عكس الغزل الحسي جانبًا واقعيًا من حياة الناس في العصر الأموي، حيث كانت بعض الفئات الاجتماعية تتمتع بالرفاهية والانفتاح. لكن في المقابل، ظل الغزل العذري موجودًا ليوازن الصورة، ويُظهر عمق العاطفة بعيدًا عن الجسد.

ثانياً : الغزل العُذري العفيف

ينقسم الدارسون في نشأة الظاهرة العذرّة " الغزل العذري " على قسمين، قسم يرى أنه أموي النشأة وأنه من المستحيل أن يظهر بطهارته، وقدسيته قبل عصر بني أمية[1]. ويقسم آخر يرى أن أصوله مشتقة من مقدمات وقصائد وجدت في الشعر الجاهلي. والباحث يميل إلى هذا الرأي. يرى أحد الباحثين إن الغزل العذري لم ينشأ في العصر الإسلامي، ولم يصر فناً مستقلاً في العصر الإسلامي، وإنما نشأ، وكان فناً مستقلاً في العصر الجاهلي. ولكن هذا لا يمنع من الإقرار بأن الحياة الإسلامية كانت مشجعة على عفة الحب وعذرّة الغزل، لأن الإسلام نظم علاقة الرجال بالنساء، وحظر الاستجابة للغريزة الجنسية إلا من طرّق الزواج، وحرم البغاء وسما بالعقّدة والأخلاق، فكان منميا للحب العذري لا منشئاً لهما. وأضاف الباحث قائلاً: إن العصر الجاهلي هو منشأ الغزل

[1] ينظر: شكري فيصل : تطور الغزل بّن الجاهلّة والإسلام " من امرئ القّس إلى ابن أبن ربّعة " مطبعة جامعة دمشق ، ط 1 ، 1333هـ - 1164م ، ص 250.

العذري[1] . ويؤيد ذلك قول أحد الباحثين: شاع الغزل العذري العفيف في العصر الأموي وعرفته قبيلته... إلا أنه ليس بوليد العصر الأموي، وإلى امتداد جذوره في العصر الجاهلي. وهذا ما يذهب إليه باحث آخر بعد أن ذكر طائفة من شعراء الغزل الحسي، يقول: على أن منهم من كان يتسامى في غزله حتى ليمكن القول بأن الغزل العذري له أصوله في الجاهلية عند عنترة وأضرابه[2].

لقد تعددت التعريفات التي تناولت الغزل العذري، ولكنها متفقة على أنَّه لا يخرج عن كونه" ظاهرة روحية يتعلق العاشق بواسطته بمحبوبة واحدة، يرى فيها مثله الأعلى الذي يحقق له متعة الروح، ورضا النفس واستقرار العاطفة"[3]. ومنهم من يرى بأنه " لون من ألوان الغزل عرفه العرب في العصر الجاهلي إلا أنه لم يكتسب ثباته ورسوخ معالمه واستقلاله فناً شعرًاً له ملامح خاصة إلا في العصر الأموي، حيث برز من قبْلة عُذرة شعراء مارسوا هذا الفن واقتصروا عليه حتى نسب إليهم وسمي بهم، وهو شعور يصور في غالبه أحاسيس مجردة في الحب تعبر عن حالات شعورٌة متقاربة من الشوق والوجدان والحرمان والذكرٌات والأمنيات"[4]. إن الظاهرة العذرٌة لما تحمله من نظرة روحٌة وبعد إنسانً ونزعة عاطفٌة، جعلت بعض الدراسات الحدٌثة لا توقف مصادر نشأتها عند الحيز المكانً والزمانً الذي نشأت فيه وإنما تذهب إلى أن إرهاصاتها وجدت قبل الحقبة الأموية ببعيد إذ كان للبيئة العربٌة أثر في التمهيد لنشأة هذا النوع من الغزل، إذ كانت مهداً له، والبادية بما فيها من مناظر جميلة رتيبة، وبما كانت تدفع إليه من الشطف والجهد في سبيل العيش وما كانت تستلزمه من تعاون قبلي، ساعدت على تكوين أخلاق وتقاليد جديدة، سرت في روح العربي وتمكنت من نفسه، ومنها البطولة في الحرب، والوفاء بالعهد، وحماية الجار، وقد طبعت هذه التقاليد والأخلاق العربي على الشهامة والنجدة والاعتداد بالنفس، وهي من صفات

---

[1] ينظر: أحمد عبد الستار الجواري : الحب العذري نشأته وتطوره ، المؤسسة العربٌة للدراسات والنشر ، بٌيروت ، ط 1 ، 2002 ، ص 61.

[2] ينظر: يٌوسف بكار، اتجاهات الغزل في القرن الثانًي الهجري ، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزٌيع ، بٌيروت ، ط 1، 2009 ، ص 54.

[3] يوسف خليف: الحب المثالي عند العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1961 ، ص 10.

[4] عبد القادر القط: في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربٌة للطباعة والنشر، بيروت، 1989، ص 133.

الفروسية التي ظهرت آثارها في عاطفته، وحبه، فهو يحب أن يظهر أمام حبيبته بمظهر القوي الذي يحمّها ويخاطر في سبيلها[1]

وجد هذا الغزل في العصر الأموي بيئة صالحة في بوادي الحجاز ونجد . نُسب إلى بني عُذرة إحدى قبائل قضاعة. ولم يقف هذا الغزل عند بني عذرة، بل شاع في بوادي الحجاز ونجد وخاصة بني عامر الذين سكنوا أطراف نجد، ومنهم المجنون قيس بن الملوح. ولا شك أن شيوع هذا النوع من الغزل يرجع إلى:

أن سكان البوادي عاشوا معيشة فقيرة فيها شظف العيش وقسوة الحياة في مجتمعهم الرعوي. وأن الإسلام قد طهر النفوس وبرئها من كل إثم. كما أن خلفاء بني أمية لم يهتموا بإمداد هذه البوادي بالأموال والعطايا والجواري والرقيق كما فعلوا مع مدن الحجاز، حيث لم يكن في هذه البوادي أبناء الصحابة والمهاجرين ممن يخافون منهم على الخلافة.

الفرق بين هذا الغزل والغزل الحسي كبير:

1- الغزل العذري العفيف يتحدث الشاعر عن مشاعر الحب الكريمة التي تنشأ بين الرجل والمرأة، وتغلب فيه نوازع الروح على نوازع الجسد. كما أن طبيعته حب روحي طاهر، يركز على المشاعر الداخلية والنقاء العاطفي. ويحب فيه محبوبته الحبيب لذاتها، لا لجمالها الجسدي.

2- ويتعلق فيه العاشق بمحبوبة واحدة تحقق له متعة الروح ورضاء النفس واستقرار العاطفة .

3- وقد عرف أصحاب هذا الحب بالعفة والطهر والشرف والنزاهة والبعد عن الفحش والادعاء وعما لا يليق بشرف الفتاة البدوية المسلمة.

4- اللغة والأسلوب: يتميز الغزل العذري (العفيف) بألفاظ رقيقة، بسيطة، مشحونة بالعاطفة. وكثرة الصور المجازية التي تعبر عن الاحتراق العاطفي (مثل النار في القلب، الدموع التي لا تنتهي). كما أن الحب في الغزل العذري ينتهي بالفراق أو

---

[1] لينا عبد ربه خورشّد الشخّر: شعر الغزل العذري في العصر العباسً (شعراؤه واتجاهاته الموضوعّة والفنيّة)، رسالــة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، كلّية الآداب، 1997، ص 09.

الموت، مما يضفي عليه طابعًا مأساويًا خالدًا مع التركيز على الألم النفسي أكثر من اللذة الجسدية.

5- يأتي الغزل الحسي (الصريح) بحب شهواني حسي يركز على جمال المرأة الجسدي. يصف الحب كمتعة جسدية ولحظات لقاء، كما أن العاشق قد يتنقل بين المحبوبات ولا يلتزم بواحدة.

6- تعتمد موضوعاته على وصف اللقاءات والمشاهد الحسية المباشرة. الاستمتاع باللحظة أكثر من فكرة الحب البعيد أو المستحيل. وصف مفاتن المرأة (العينين، الشفتين، الجسد...)

7- تبرز في أسلوبه الألفاظ القوية، المباشرة، أحيانًا جريئة جدًا. مع مراعاة أوزان وإيقاعات موسيقية راقصة تناسب الفرح واللهو تعكس الجمال الجسدي والملامح الخارجية.

الخصائص الفنية والجمالية التي يمتاز بها الغزل العذري:

يتميّز الغزل العذري بـ" العّفة التي لم تخرجه عن كونه حبّا إنسانيّا طبيعيّا، وقد كان لهذه العّفة أسباب منها الحرمان وشّدة العاطفة، وأخلاق الفروسيّة البدويّة والأخلاق الدينيّة على أن هذه العّفة لم تكن مطلقة ولم تكن زهدا خالصا في الملّذات الحسيّة، لقد كانت اللمسات الحسيّة في الغزل العذري تّؤدي وظيفة روحيّة ولم تكن غاية بذاتها. كما أنه" يصّور خلجات النّفس وفرحات اللقاء وآلام الفراق، ولا يحفل بجمال المحبوبة الجسدي بقدر ما يحفل بجاذبيتها وسحر نظراتها وقوة أسرارها ثم يقتصر الشاعر على محبوبة واحدة طيلة حياته". ويتّسم الغزل العذري بالتعبير" عن عواطف المحبّين ومعاناتهم ويتّجه إلى نفس العاشق أكثر من أن يتّجه إلى جسد المرأة، فقد جسد الغزل العذري العاطفة العذرية بما تنطوي عليه من ألم وحرمان ويأس وصراع داخلي عنيف، وقهر وذل ورضوخ وانهيار إرادة العاشق ومأساته في نفسه وفي أهله، واليأس المطلق من الشفاء من الحب وغير ذلك من مكونات العاطفة العذريّة[1]. ويمكن حصر أهم الخصائص في النقاط التالية:

[1] ينظر: عبيدة يحيى بن صالح، نقد الغزل العذري الأموي قديما وحديثا، رسالة دكتوراه، جامعة الموصل، 2003، ص 17.

1. الوحدة الموضوعية: تركز القصيدة العذرية على موضوع الحب وحده، فلا تخرج عن وصف المشاعر والهيام بالحبيبة.

2. العناية بالعاطفة والحرص على تمثيلها: فقد عني فيه الشعراء بالحب وما يتركه في القلب من أثر، ونظروا للمرأة على أنها شطر من النفس لا تطيب الحياة إلا به.

3. شيوع العاطفة الرومانسية الحزينة الحالمة: يعتمد الشعر العذري على التصوير الفني للتعبير عن المشاعر، مثل صور النار التي تحرق قلب العاشق، أو التشبيهات التي تصف جمال المحبوبة بأسلوب رقيق. يستخدم الشعراء ألفاظًا ناعمة عاطفية.

ويمثل هذه الرومانسية قول المجنون يناجي صاحبته:

فأنتِ التي إن شئتِ أشقيتِ عيشتي وإن شئت بعد الله عَمْتِ الليالیا

وأنتِ التي ما من صديق ولا عدا يرى نضو ما أبقيتِ إلا رثى لِيا

أعدُّ الليالي ليلةً بعدَ ليلةٍ وقد عشتُ دهراً لا أعدُّ الليالیا[1]

4. سهولة الألفاظ وجمال الأسلوب: يمتاز الغزل العذري بلغة سهلة وأسلوب بسيط بعيد عن التكلف، لأن الشاعر يهتم بإيصال مشاعره بشكل مباشر. فألفاظه سهلة لا تعسف فيها ولا تكلّف، والتراكيب تساير سهولة الألفاظ بلا تكلّف ولا التواء، مع متانة وجزالة بدوية.

[1] قيس بن الملوح، الديوان ، ص 77.

المحاضرة الحادية عشر

شعر النقائض في العصر الأموي

النقائض:

النقائض جمع مفرده نقيضة، وهو من النقض : يعني الهدم، ومنه قولهم : نقَض البناء إذا هَدَمَه، والنقض ضد الإبرام والتحلل ومنه قوله تعالى:" وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً" النحل، وقوله تعالى:" الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ" البقرة : ويكون للحبل ومجازا للعهد، وناقَضَه في الشيء مناقضةً ونِقَاضًا خالفه، ونقيضك الذي يخالفك، وقد عُرف المعنى المادي الذي يتمثل في نقض البناء أو نقض الحبل أولاً، ثم جاء المعنوي الذي يبدو في نقض العهود والمواثيق، ثم جاء المعنى الأدبي من قولنا: نقض القول، وفي الشعر أن ينقض الشاعر ما قال الأول، حيث يأتي بغير ما قال خصمه، وقد اشتهرت في هذا المعنى نقائض الفرزدق وجرير والأخطل[1]

إن النقيضة في اللغة جمع نقيضة وهي المخالفة والتكلم بخلاف، وهو إفساد ما أبرم من عقد أو بناء ونقض البناء وهدمه مأخوذ من نقض الشيء إذا هدمه. ونقض فلان كلام فلان إذا أثبت بطلانه. هذا المعنى يتمثل في القصيدة الثانية التي يرد فيها الشاعر على القصيدة الأولى ليهدمها ويثبت بطلانها"[2].

---

[1] يُنظر : أبو القاسم محمود جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، ج ،02دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ،1998 ،01ص ، 299.

[2] ينظر: ابن منظور، لسان العرب دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج ،7ط ،14د ت، ص 242.

وتأتي النقائض اصطلاحا بمعني" يقول الشاعر قصيدة، فينقضها عليه خصمه أي يرد عليه، ويلتزم في ذلك ما التزمه صاحبه من الوزن والقافية غالبا، وكثيرا ما يعرض لنفس تلك المعاني التي قصد إليها الشاعر، فينفيها أو يفسدها بأي وجه من الوجوه"[1] وهو لون من ألوان الهجاء والتحدي بين شاعرين، يبدأ الأول فيهجو الآخر ويفاخره بقصيدة على وزن خاص وقافية خاصة، فيرد عليه الآخر بقصيدة أخرى من ذات الوزن والقافية بحيث يحاول إثبات تفوقه عليه في المعاني، تعني النقائض حسب الشايب أحمد" أن يتوجه الشاعر بقصيدة يهجو بها شاعرا آخر، ويسخر منه ومن قبيلته، ويفخر بنفسه وقومه، وبما لهم من أمجاد ومكانة، فيجيبه الشاعر الآخر بقصيدة–وغالبا ما تكون القصيدة الثانية على وزن القصيدة الأولى، وعلى القافية نفسها– ناقضا كثيرا مما جاء به الشاعر الأول من معان وصور مضيفا إليها فخرا أ" [2] أي أن النقض في الأصل من صفات القصيدة الثانية التي نهضت لترد على الأولى. إن النقائض قديمة، وعرفت في العصر الجاهلي حيث الخلاف والنزاع بين القبائل فينتصر لها شاعر وهذا يقف مع هذه القبيلة ويفتخر بها في قصيدة ويعدد مناقبها ويهجو من يهاجمها ويعاديها في والعصبية القبلية هي المدعاة الأولى لنشوء العصر، وقد وصلت إلى درجة الفن الذي وصلت إليه العصر الأموي فكانت تتمركز في الرد على الشاعر ونقض المعاني التي أوردها في قصيدته[3].

نشأة النقائض:

تطورت النقائض من فن الهجاء الجاهلي القديم، حيث كان الشعراء يهجون القبائل التي تناصبهم العداء. وفي الإسلام تهاجى شعراء المسلمين مع شعراء المشركين. لكن عناصر هذا الهجاء في الجاهلية وصدر الإسلام كانت بسيطة لا تعقيد فيها، حيث لم يتقيد الشعراء بالرد على نفس الوزن والقافية ، وبنقض كل معنى من معاني هجاء خصومهم، وكان الهجاء يتوقف بتوقف الحرب. إن القارئ لشعر النقائض في العصر الإسلامي يجد أن معانيها قريبة سهلة التناول، لا يوجد فيها عنت، ولم يستخدم الشاعر في الإسلام

---

[1] محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط ،1990 ،01ص519.

[2] الشايب أحمد، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ط ،3ج ،1مكتبة النهضة المصرية، ،1998ص 3.

[3] ينظر: مصطفى خليل الكسواني، زهدي محمد عبد حسين حسن قطناني مختارات من الشعر العربي القديم.ص98.

التجريح ولا هتك الأعراض، ولم يفحش ويدخل في ملا حرمات حتى لألد أعدائه، ولقد خبت ظاهرة النقائض مع مرور الأيام في فترة الدعوة الإسلامية؛ نظرا لدخول الناس في الإسلام بعد مرور العديد من المعارك بينهم ،سواء القتالية أو اللسانية الشعرية، وانشغل العرب بالفتوحات لنشر الدعوة، وتناسوا ما كان بينهم من هجاء، وأصبحوا أمة واحدة.

أما في العصر الأموي يرى الباحث أن النقائض فن تطور في عصر الأمويين، وصار أكثر تعقيدا مع تطور الحياة، فكان لها روادها ومن برع فيها، وبقي حتى يومنا هذا نتدارس فنهم فيها، وكان من أشهرهم جرير والفرزدق والأخطل، حيث أحيوا هذا الفن ما عاشوا، وزاد زمن نقائضهم على أربعين عاما، فهؤلاء يشكلون عصب حركة النقائض، وفن النقائض شكل من أشكال المناظرة والجدال والمناقشة والحوار، وهي ميزة امتاز بها هؤلاء الشعراء دون غيرهم، ولعلهم أفادوا من علماء الفقه، وحلقات العلم، وتاريخ الأيام والوقائع، فقد تعقدت قصيدة الهجاء في العصر الأموي وكثُر عدد أبياتها ، وتحول الهجاء إلى غرض دائم مستمر. وجد هذا الفن لدى الناس ميولاً واستحساناً، حيث كانوا يلتفون حلقات ليسمعوا الجديد من الهجاء والأخبار والنوادر. ويتحركون من شاعر لآخر ليهيجوا الحماس ويثيروا النفوس. أصبح هم الشاعر رضا الناس وإثبات تفوقه على خصمه الأمر الذي جعل هذا الهجاء يتحول إلى غرض جديد عُرف بالنقائض. وتحول من الهجاء الخالص إلى ضرب من ضروب الملاهي.

عوامل ظهور النقائض: يمكن أن نرد نمو فن النقائض في العصر الأموي لأسباب يرجع بعضها إلى عوامل سياسية واجتماعية وعقلية.

العوامل السياسية: كانت للعوامل السياسية والتحزبات في العصر الأموي الدور الكبير في ظهور هذا النوع من الفن الشعري –النقائض–، وبدأ الشعراء بالتحزب للفئة التي ينتمون لها، والمدح والذم وتوظيف الألفاظ القوية، وظهور مصطلحات جديدة في قاموس اللغة العربية في تلك الفترة. ترجع إلى تشجيع حكام بني أمية لصرف الناس عن السياسة والتفكير في الحكم ومن هم أحق الناس بالخلافة. وقد جعلت النقائض للتكسب

التكسب المادي، إذ لم يكن جميع شعراء هذا الفن صادقين في تعبيرهم وقصائدهم من مدح وذم وهجاء، بل كان دافعهم الأول الكسب المادي[1]

وقد اختارت الدولة الأموية بشر بن مروان ليكون واليها على العراق، وكان من مهامه إذكاء نار العداوة والخصومة بين الشعراء ، فعندما هجا سراقة البارقي جريراً مفضلاً عليه الفرزدق سارع بشر بن مروان بإرسال هذه الأبيات إلى جرير وأمره أن يجيب عليها:

أبلغ تميما غثها وسمينها والحكم يقصد مرة ويجور

ذهب الفرزدق بالفضائل كلها وابن المراغة مقعد محسور

إن الفرزدق عرقت أعراقه عفوا وغودر في الغبار جرير

ما كنت أول محمر قعدت به مسعاته إن اللئيم عثور

هذا قضاء البارقي وإنه بالميل في ميزانكم لبصير

فرد عليه جرير

يا بشر حق لوجهك التبشر هلا غضبت لنا وأنت أمير

بشر أبو المروان إن عاسرته عسر وعند يساره ميسور

إن الكرية ينصر الكرم إبنها وابن اللئيمة للئام عثور

قد كان حقك أن تقول لبارق يا آل بارق في سب جرير

يعطي النساء مهورهن كرامة ونساء بارق ما لهن مهور

وكسحت يأمتك للفجار وبارق شيخان أعمى مقعد وكبير

فأُخِذت إلى بشر فقُرِأت في العراق، وأفحم سراقة ولم ينطق بعدها بشيء .

العوامل الاجتماعية: مردها إلى حاجة المجتمع العربي إلى ضرب من الملاهي يقطع الناس به أوقاتهم الطويلة، كما كان أهل مكة والمدينة يتسلون بالغناء. وكان لتشجيع جماهير الأثر الكبير في إذكاء هذا الفن وتطوره، خاصة في البصرة والكوفة اللتان استقرت فيهما القبائل العربية. وبفعل التغييرات في المجتمع على صعيد ازدهار مستوى المعيشة، وانتقال العرب من طور البداوة إلى المدنية والحضارة، الأمر الذي آذن بوجود الدعة والفراغ

[1] مصطفى خليل الكسواني، زهدي محمد عبيد . حسين حسن قطناني، مختارات من الشعر العربي القديم، ص 89.

والحاجة إلى ضروب من الملاهي، فجاءت النقائض استجابة لهذه الحاجة، في البصرة وغيرها من حواضر الدولة الأموية وتذهب بعض المؤلفات الحديثة إلى أن شعراء النقائض يقومون بها على أنها شيء يقصد به إلى التسلية أكثر مما يقصد به إلى السباب التهاجي، ويستدلون على ذلك بصداقة جرير والفرزدق، ورثاء جرير له بعد موته.

الحياة العقلية والفكرية: ويرجع ذلك لما استجد في الثقافة العربية آنذاك من شيوع فنون الجدل والمناظرة والحجاج، خاصة في الملل والنحل والفقه والعقيدة، بل والسياسة كذلك الشيعة، الخوارج، الزبيريون، الأمويون، الموالي، ما انعكس على شعراء النقائض فراحوا يتناظرون في حقائق القبائل ومفاخرها ومثالبها، وكل منهم يدرس موضوعه دراسة دقيقة، ويبحث في أدلته ليوثقها، وأدلة خصمه لِيَنْقُضَهَا دليلا دليلا "[1] كما أن نمو العقل العربي وقدرته على الحوار والجدل في الملل والنحل السياسية والعقدية والفقه والتشريع. وكانت المحاورات والمناقشات تدور في المجالس والمساجد بل حتى في الطرقات والأسواق. وعلى مثال ذلك أخذ شعراء النقائض يتناظرون ويتفاخرون في مفاخر القبائل ومناقبها. وهي مناظرات كانت تتخذ سوق المربد بالبصرة والكُناسة بالكوفة مسرحين لها. فالشعراء يذهبون إلى هناك ويذهب الناس إليهم ويتحلقون حولهم ليروا لمن تكون الغلبة. هناك عدة دوافع وعوامل النفسية تساهم في تشكيل شخصية الشاعر في ساحة الهجاء والنقائض، ويلفت النظر ذلك الإحساس النفسي، إما بالضعة والهوان التي تتملك الشاعر بسبب هوان أسرته وفقر قومه، والنشأة المعدمة كما هو حال الشاعر جرير، الذي ينحدر من قبيلة فقيرة، فهذه الأسباب فجرت ينابيع الإبداع في نفسيته، وشخصيته المتفردة في الهجاء والنقائض، وقد يشكل العامل النفسي لبعض الشعراء الفخر والتعالي والتحدي والشموخ لعراقة الأصل، ومنعة الأهل كالفرزدق[2].

خصائص النقائض الأموية: شعر النقائض هو أحد أبرز الفنون الشعرية في العصر الأموي، مبناه التفاخر والهجاء بين الشعراء، حيث يردّ كل شاعر على الآخر بقصيدة تنقض معانيه وتتفوق عليه. **ومن بين هذه الخصائص ما يلي:**

---

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط ،11، 1989ص 242.

[2] ينظر: طه نعمان أمين، جرير حياته وشعره، دار المعارف، القاهرة، سلسلة نوابغ الفكر، ت.د ، ص331.

1- التأثّر بأسلوب المناظرة الأمر الذي مكّن أصحاب النقائض من" القدرة على الحوار والجدل، ومكّن في شعرهم لفكرة التعليل والتَّسبيب ووضع المقدمات، وتلوين الهجاء بألوان عقلية حديثة"[1] ويعود هذا التأثر إلى تطوّر الحياة الفكريّة والعقليّة في البصرة، وانتشار الفرق الكلامية كالشيعة والجبرية والقدرية والمرجئة، وتأثّر الشعراء بالعلماء والفقهاء المسلمين.

2-رصد صفات الخصم: عمدوا إلى الرصد لينهالوا على خصومهم بالهجاء والشعر المقذع.

3-استخدام أسلوب المقارنة والموازنة: ويظهر هذا بين أسلوب الشاعرين المتناقضين في الجمال والدقة والعذوبة.

4-الافتخار والتفاخر: ذكر مناقب القبيلة وأمجادها، مع استعراض القيم العربية مثل الكرم، الشجاعة، والمروءة.

5-التتبع والتدرج التاريخي: استدعاء الحوادث التاريخية والأحداث القبلية القديمة لتعزيز موقف الشاعر ضد خصمه.

التأثر بالإسلام: لقد دخلت المعاني الإسلامية في النقائض فبيئة شعرائها إسلامية، مثل قول الفرزدق يهجو جرير ويفتخر بنفسه:

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقض ى عليك به الكتاب المنزل

أَينَ الَّذينَ بِهِم تُسامي دارِماً أَم مَن إِلى سَلَفي طُهَيَّةَ تَجعَلُ

يَمشونَ في حَلَقِ الحَديدِ كَما مَشَت جُربُ الجِمالِ بِها الكُحَيلُ المُشعَلُ

وَالمانِعونَ إِذا النِساءُ تَرادَفَت حَذَرَ السِباءِ جِمالُها لا تُرحَلُ[2]

6-الإفحاش والهجاء: لم يتورع شعراء النقائض عن الفحش في الهجاء فلجأوا إلى الإقذاع واستعملوا أساليب وألفاظ وعبارات تناولت الأعراض فانتهكوها والمحرمات فأباحوها وبمنتهى التصريح الفاضح لا التلميح إلى درجة لا تقرها لا الأديان السماوية ولا الأخلاق العربية حتى قال جرير: "ما هجينا بشيء أشر قط أشد علينا من قول الأخطل" كما تم

[1] شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط ،1987 ،08ص.185.

[2] علي فاعور، الفرزدق، ديوانه، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1987، ص 489

الاعتماد على المعاني المتضادة: الشاعر ينقض معاني خصمه بشكل مباشر، بحيث يرد عليه بنفس الوزن والقافية ما يبرز قدرة الشاعر على التحكم باللغة والإبداع ضمن نفس الإطار الموسيقي. ويُظهر التفوق اللفظي والمعنوي. باستخدام ألفاظ جزلة، واستعمال الصور الشعرية القوية والتشابيه والاستعارات لتعميق المعنى.يشترط في قصيدتي النقائض من حيث البناء الخارجي توافر ثلاث وحدات: وحدة الوزن والموضوع والقافية. أما وحدة حركة حرف الروي (المجرى) فأكثر النقائض تلتزمها، وبعضها لم تلتزم بها اكتفاء بالتزام حرف الروي، وهذا ما حدث في لامية الفرزدق التي مطلعها:

إِنَّ الَّذي سَمَكَ السَماءَ بَنى لَنا بَيتاً دَعائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطوَلُ

بَيتاً بَناهُ لَنا المَليكُ وَما بَنى حَكَمُ السَماءُ فَإِنَّهُ لا يُنقَلُ

بَيتاً زُرارَةُ مُحتَبٍ بِفِنائِهِ وَمُجاشِعٌ وَأَبو الفَوارِسِ نَهشَلُ

يَلِجونَ بَيتَ مُجاشِعٍ وَإِذا اِحتَبوا بَرَزوا كَأَنَّهُمُ الجِبالُ المُثَّلُ

لا يَحتَبي بِفِناءِ بَيتِكَ مِثلُهُم أَبَداً إِذا عُدَّ الفَعالُ الأَفضَلُ

مِن عِزِّهِم جَحَرَت كُلَيبٌ بَيتَها زَرباً كَأَنَّهُمُ لَدَيهِ القُمَّلُ

ضَرَبَت عَلَيكَ العَنكَبوتَ بِنَسجِها وَقَضى عَلَيكَ بِهِ الكِتابُ المُنزَلُ

أَينَ الَّذينَ بِهِم تُسامي دارِما أَم مَن إِلى سَلَفي طُهَيَّةَ تَجعَلُ

يَمشونَ في حَلَقِ الحَديدِ كَما مَشَت جُربُ الجِمالِ بِها الكُحَيلُ المُشعَلُ[1]

ولامية جرير التي مطلعها:

لمنِ الديارُ كأنها لمْ تحللِ بَينَ الكِنَاسِ وَبَينَ طَلحِ الأعزَلِ[2]

أعلام النقائض

[1] علي فاعور، الفرزدق، ديوانه، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1987، ص 489

[2] محمد إسماعيل عبد الله، جرير، ديوان جرير، الصَّاوي، دار الأندلس، بيروت، ط1 ، ص 248.

الفرزدق: هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق: شاعر من النبلاء، من أهل البصرة، وله عظيم الأثر في اللغة، كان يقال له: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة أهل العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس، يشبه بزهير بن أبي سلمى، وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، ومهاجاته لهما أشهر من ذلك. كان شريفا في قومه، عزيز الجانب، يحمي من يستجير بقبر أبيه، وكان أبوه من الأجواد الأشراف، وكذلك جده.

ولقب بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه، توفي في البصرة وقد قارب المئة، وأخباره كثيرة[1].

الأخطل: هو غياث بن غوث الصلت بن طارقة بن عمرو بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن تغلب الشاعر المشهور من الأراقم، ويكنى أبا مالك. والأخطل لقب غلب عليه، وجاء في طبقات فحول الشعراء لابن سلام:" وكان كعب سماه الأخطل، وذلك أنه سمعه ينشد هجاء فقال يا غلام، إنك لأخطل اللسان". وكان شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع، اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم، وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشهر أهل عصرهم. نشأ على المسيحية، في أطراف الحيرة بالعراق، واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره، وكان مع جبا بأدبه، كثير العناية بشعره ينظم القصيدة ويسقط ثلثيها ثم يظهر مختارها، وكانت إقامته طورا في دمشق مقر الخلافة من بني أمية، وحينا في الجزيرة حيث يقيم بنو تغلب قومه[2].

جرير بن عطية: هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر بن سلمة بن عوف الكلبي اليربوعي ولد في اليمامة سنة28هـ، ومات فيها سنة 110هـ، وهو من تميم، وكان أشعر أهل عصره، فقد عاش عمره يناضل شعراء زمنه ويساجلهم، وكان هجاء مرا، فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل، وكان من أغزل الناس شعرا. وجرير من

---

[1] ينظر: الزركلي خير الدين، الأعلام، مج8، بيروت، لبنان، ط5 ، 1980 ، ص93.

[2] ينظر: الزركلي خير الدين، الأعلام، مج8، بيروت، لبنان، ط5 ، 1980 ، ص 123.

بني كليب بن يربوع، وكان له أخوان عمرو بن عطية، وأبو الورد بن عطية، وكان له عشرة من الولد فيهم ثمانية ذكور منهم بلال بن جرير وكان أفضلهم وأشعرهم، وكان جرير يكنى بأبي حزرة.[1]

[1] ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1405 هـ ، ص304. وينظر: الزركلي خير الدين، الأعلام، مج8، بيروت، لبنان، ط5 ، 1980 ، ص 119.

الخاتمة

الخاتمة:

يبتدئ البحث العلمي عادة بمجموعة من الأسئلة والاستفسارات التي تصاحبها فرضيات وتوقعات، ومن طبيعة أي عمل أو بحث علمي أن تكون له ثمار في ختامه، وبين الشوطين يتحسس الباحث متعة السفر بين زحمة الأفكار التي تشعره أحيانا بالدوار وأحيانا أخرى تقربه من سر الحقيقة التي لا تسبر أغوارها إلا من ذاق فعرف، وقد حاولنا رصد وتسجيل بعض ما توصلنا إليه من نتائج ألا وهي:

- أن مفردة أدب تغيرت بتغير الزمن والعصر فنجدها تعني المأدبة ومكارم الأخلاق، إلى أن تصل في مفهومها إلى معنى تعليمي.
- شكلت التحولات في الأدب القديم تجليا واضحا لأثر التفاعل بين الفن والوعي، وبين الذات والموضوع لصنوف مختلفة من الحياة الفكرية.
- الشعر محور تلاقي الكثير من العلوم والمعارف؛ فهو ديوان العرب ومصدر فخرهم.
- تعددت الكثير من الفنون في العصر صدر الاسلام كالخطابة والوصايا وفن الرسائل وذلك لحاجة المسلمين لذلك.
- بروز نوع جديد من الشعر وسميّ بذلك الشعر السياسي.
- ظهور النقائض كظاهرة أدبية مسّت الكثير من الجوانب الفنية والجمالية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو تمام، الحماسة, برواية منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي 540 .هـ , دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.

– ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محيي الدين عبد الحميد، 1934.

– ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1405 هـ.

– ابن منظور: لسان العرب، ط بولاق 1303 هـ ، ج13 ص136 ، الالوسي : بلوغ الارب ج1 .

– أبو القاسم محمود جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، ج ،02دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ،1998 .

– أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: تأويل مشكل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1973.

– أحمد الإسكندري ومصطفى عناني: الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، ط 4، مطبعة المعارف ومكتبتها، 1342هـ – 1924م.

–أحمد أمين: فجر الاسلام ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1969، ط 11.

– أحمد عبد الستار الجواري : الحب العذري نشأته وتطوره ، المؤسسة العربّة للدراسات والنشر ، بّيروت ، ط 1 ، 2002.

– ارنست فيشر، ضرورة الفن.

– الالوسي: بلوغ الارب في معرفة احوال العرب، مصر، 1342هـ، ج1.

– الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ج 1، ط 2 ، القاهرة . مصر، طبعة الحلبي، 1967

– جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

–حسان ابو رحاب، الغزل عند العرب، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، 1414هـ/2004م.

– حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي– الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، ط1، 1986م.

– دزيريه سقال: العرب في العصر الجاهلي، دار الصداقة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1995.

– الزركلي خير الدين، الأعلام، مج8، بيروت، لبنان، ط5 ، 1980 .

– الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفلك، بيروت، لبنان، د.ط، 2000، .

– الشايب أحمد، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ط 3، ج1، مكتبة النهضة المصرية 1998،.

– شكري فيصل: تطور الغزل بُن الجاهلّة والإسلام " من امرئ القُس إلى ابن أبن ربّعة " مطبعة جامعة دمشق ، ط 1 ، 1333هـ – 1164م.

– شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ج 1، دار المعارف، مصر، ط 1، 1995.

– شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط08 1987، ص.185.

– شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 1989، .

– طه نعمان أمين، جرير حياته وشعره، دار المعارف، القاهرة، سلسلة نوابغ الفكر، ت.د

–عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيأة المصرية العامة للكتاب، 1987م.

– عبد القادر القط: في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربّة للطباعة والنشر، بيروت، 1989.

– عبد القاهر الجرجاني، معجم التعريفات، باب خاء، تحق: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، د.ط، د.ت.

– عبدالكريم زيدان: المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية – بغداد، 1969.

– عبيدة يحيى بن صالح، نقد الغزل العذري الأموي قديما وحديثا، رسالة دكتوراه، جامعة الموصل، 2003.

- علي فاعور، الفرزدق، ديوانه، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1987.
- عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2.
- في الحب والحب العذري، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، ط01 ،1967.
محمد إسماعيل عبد الله، جرير، ديوان جرير، الصَّاوي، دار الأندلس، بيروت، ط1.
- محمد التنوخي، فن الكتابة والقول، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1، 2000.
- محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط01، 1990 .
- محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج18، دار الهداية، الكويت، 2001.
- مصطفى خليل الكسواني، زهدي محمد عبد حسين حسن قطناني مختارات من الشعر العربي القديم.
- الموسوعة العربية العالمية: 14/ 140، ط 2- مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع بالرياض، الرياض السعودية، 1419.
- ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط 7، 1988.
- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري، دار الفيحاء، دمشق، ط2، 1425 .
- يُوسف بكار، اتجاهات الغزل في القرن الثانِّي الهجري ، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزِّيع، بُيروت، ط 1، 2009 .
- يوسف خليف: الحب المثالي عند العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1961 .
- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف . القاهرة ، ط 3، 1978.

الرسائل والمذكرات:

- لينا عبد ربه خورشُد الشخُر: شعر الغزل العذري في العصر العباسً(شعراؤه واتجاهاته الموضوعُة والفنيُة)، رسالــة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلُية الآداب، 1997.

المواقع الإلكترونية

www.diwanalarab.com-

www.alukah.net-

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة..... 04

المحاضرة الأولى..... 07

تعريف الأدب..... 07

تقسيمات الأدب..... 09

المحاضرة الثانية..... 12
البيئة الجغرافية للعرب.....12
أولا: الموقع الجغرافي.....12
ثانيًا: التضاريس الجغرافية..... 13
ثالثًا: تأثير البيئة الجغرافية على حياة العرب..... 14
حياة العرب الاجتماعية..... 15
الحياة الاجتماعية للعرب قبل الإسلام.....
16
العصر الجاهلي التسمية والتوسع..... 19
التوسع الزمني والمكاني..... 21
1. التوسع الزمني..... 21
2. التوسع المكاني..... 21
3. سمات العصر الجاهلي..... 21
المحاضرة الثالثة..... 23
أولية الشعر العربي الجاهلي وروايته.....23
أولية الشعر العربي قبل الإسلام.....23
الشعر الجاهلي والتفرد.....25
الشعر الجاهلي مستودع ووسيلة.....26
المحاضرة الرابعة..... 30
مصادر الشعر الجاهلي.....30
نماذج من المكتبة الأدبية.....39
المحاضرة السادسة..... 50
المعلقات..... 50
قصائد المعلقات في الشعر الجاهلي..... 50

المفهمة القاموسية..... 51
المفهمة الاصطلاحية..... 51
لماذا سميت بـ"المعلقات"..... 51
خصائص المعلقات..... 55
أصحاب المعلقات..... 55
أهمية المعلقات..... 58
المحاضرة السابعة..... 59
شعر الصعاليك..... 59
عوامل ظهور الصعلكة في العصر الجاهلي..... 62
صفات الصعاليك..... 63
موضوعات شعر الصعلكة..... 65
المحاضرة الثامنة..... 74
النص النثري في صدر الإسلام..... 74
الفنون النثرية في صدر الإسلام..... 75
الخطابة..... 75
تعريف الخطابة.....76
نشأة الخطابة العربية..... 77
خصائص الخطابة في العصر الإسلاميّ..... 79
فن (الرسائل).....79
خصائص الرسائل في صدر الإسلام..... 80
الوصايا في صدر الإسلام..... 81
أهمية الوصايا..... 82
خصائص النثر الأدبي في صدر الإسلام..... 82
المحاضرة التاسعة: الأدب الأموي.....85

الحالة السياسية في العصر الأموي.....85
ملامح وخصائص الحكم الأموي..... 86
الشعر السياسي في العصر الأموي..... 87
عوامل ازدهار الشعر السياسي..... 88
مميزات الشعر السياسي..... 88
المحاضرة العاشرة: مدرسة الغزل في العصر الأموي..... 91
شعر الغزل في العصر الأموي.....91
الغزل الحسي..... 93
خصائص شعر الغزل الحسي..... 93
الغزل العُذري العفيف..... 95
الخصائص الفنية والجمالية التي يمتاز بها الغزل العذري..... 98
المحاضرة الحادية عشر..... 100
شعر النقائض في العصر الأموي.....100
نشأة النقائض..... 101
عوامل ظهور النقائض..... 102
خصائص النقائض الأموية.....104
أعلام النقائض..... 107
الخاتمة.....109
قائمة المصادر والمراجع.....111
فهرس الموضوعات.....116